



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب و اللغات

السياق التداولي في "كليلة ودمنة" لابن المقفع

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة الليسانس (ل. م. د.) في اللغة العربية وآدابها

تخصص - لغة -

إشراف الأستاذ:

عبد العزيز مصباحي

إعداد الطالبات:

- ✓ أسماء عويش
- ✓ أمال قسومة
- ✓ آمنة دركي
- ✓ هاجر مشري

الموسم الجامعي : 1435-1436هـ / 2014-2015م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾
لَا شَرِيكَ لَهُ ^{صَلِّ} وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ
وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾

﴿سورة الأنعام الآية﴾ 162-163 ﴿﴾

شكر و عرفان

الحمد لله على ما منى علينا من علم متواضع وألهمنا قوة الصبر والتحمل لإعداد هذا الموضوع، وبعونك اللهم وجزيل رحمتك تم ختامه، فلك كل الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ومجدك يا أرحم الراحمين.

ومصادقا لقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ من لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن أسدى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تستطيعوا فادعوا له ﴾ صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بذلك نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف "مصباحي عبد العزيز" على كل نصائحه وإرشاداته خلال إعداد هذه المذكرة، فجزاه الله عنا كل خير وأدامه ذخرا للأمة.

كما نتقدم بجزيل الشكر والإمتنان إلى كل من أمدنا بيد العون لإنجاز هذه المذكرة من بعيد أو قريب: المساعدة بالكتب، المساندة بكلمة طيبة تنشرح لها القلوب... نتوجه بالتحية والشكر كذلك إلى كافة أساتذة كلية الآداب و اللغات بجامعة "حمه لخضر" بالوادي، كما نشكر كل عمال المكتبة على جهودهم التي بذلوها لمساعدتنا. شكر موصول إلى كل عمال وموظفي كلية الآداب اللغات ولا يفوتنا في الأخير أن نقدم تشكراتنا إلى كافة الطلبة المتخرجين عامة وطالبات دفعة " لغة " 2015 خاصة، ونتمنى لهم حياة موفقة بإذن الله. شكرا لكل من سيقراً هذه المذكرة بنية الإفادة والاستفادة منها.

شكرا بكل معنى كلمة شكر

مقدمة

مقدمة

يعتبر تراث الأدب العربي، من بين أهم الآداب العالمية ثراءً وغنى من حيث الموروث الثقافي والنقدي، هذا ما جعل الباحث الذي يريد استكشاف كنه هذا التراث يقف حائراً أمام هذا الزخم المعرفي.

وفي خضم كل هذا ارتأينا أن نختار مدونة خاصة لبحثنا هذا، وهذا طبعاً بتوجيه من أستاذنا المشرف الذي كان له الفضل في توجيهنا إلى أحد أهم كتب التراث التي تحوي درراً معرفية خاصة، ألا وهي كتاب "كليلة ودمنة" لمؤلفها "ابن المقفع".

يحتوي هذا الكتاب مجموعة قصصية، وحوارات مختلفة، على أسنة الحيوانات، والكتاب في أصله من وضع علماء الهند بمختلف مشاربهم، من الأمثال والأحاديث التي ألهموا أن يدخلوا فيها ما وجدوا من القول في النحو الذي أرادوا. وتجري وقائع هذا الكتاب على أسنة الحيوانات بأسلوب ظريف وجذاب من الفكاهة والمتعة والذوق أو اللقطات الفلسفية، والمعاني الإنسانية والمثل الأخلاقية. وقد جاء تأليف هذا الكتاب في سياق ثقافي واجتماعي سائد في تلك الفترة، فكان دعوة إصلاحية في البحث والنقد اللاذع لسياسة كانت قائمة في ذلك العهد، لا يؤمن فيها المرء على ماله ونفسه وحرية، فضلاً عن أنه غني بقيمه وطاقاته الأدبية والفلسفية والتاريخية هذا ما جعل مترجم الكتاب "عبد الله ابن المقفع" ينبهنا في باب عرض الكتاب إلى توحي الحذر واستحكام العقل والتفكير في كيفية تلقي ما جيء فيه فيقول: "وينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يعرف الوجوه التي وضعت له، وإلى أي غاية جرى مؤلفه فيه عندما نسبه إلى البهائم وأضافه إلى غير مفصح، وغير ذلك من الأوضاع التي جعلها أمثالا، فإن قارئه متى لم يفعل ذلك لم يدر ما أريد بتلك المعاني"¹. وانطلاقاً من نصيحة "ابن المقفع" في كيفية فهم الكتاب، فإنه يكون مفروضاً علينا أن نستحکم منهجاً معيناً تكون آلياته التي تعتمد عليها أثناء التحليل أكثر مرونة ونجاعة للوصول إلى الفهم الجيد للخطاب المراد بحثه، ولأن أي خطاب لا يمكن تحليله إلا بالعودة إلى السياق التداولي الذي تمخض عنه، فإننا

1- عبد الله ابن المقفع، "كليلة ودمنة"، مراجعة وتعليق عرفان مطرجي، ط1، دار الفكر، بيروت 2005، ص9.

آثرنا أن نستند إلى المناهج الحديثة في تحليلنا هذا، مثل المنهج التداولي الذي يعد من أحد أهم فروع ميادين السيميائيات حسب "شارل موريس" التي عرفها بأنها _دراسة علاقة العلامات بمستعملها_ ولاعتبار السياق من أهم الأعمدة التي تقوم عليه التداولية وسيميائيات التواصل، فإن أي فهم لخطاب لغوي معين لا يمكن تحقيقه إلا إذا قمنا بتقصي الأوضاع الاجتماعية والسياسية والتاريخية التي ولدت لنا خطابا مؤثنا بمختلف المعارف والتجارب الإنسانية، فالسياق كما عرفه "جان دييوا" بقوله: >> هو مجمل الشروط الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي واستعمال اللغة...، وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمتلقي والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعلومات الشائعة بينهما <<¹.

وبناء عليه، فإن "كليلة ودمنة"، لا يمكن لأي باحث أن يعنى بدراستها مستقلة عن الأوضاع التي تمخضت عنها، بل إن الحوار الذي جرى بين الفيلسوف "بيدبا" و"دبشليم" الملك، وكل القصص التي قام بسردها "بيدبا" لا يمكننا فهمها إلا بالعودة إلى السياقات التي أتت فيها، خاصة أنها أتت على لسان الحيوانات، هذا ما يجعلها أكثر غموضا وأكثر فلسفة.

وانطلاقا من قراءتنا لكتاب "كليلة ودمنة"، واطّلعنا على المناهج الحديثة، خاصة التداولي منها، تبلورت لدينا اشكالية لمسناها أثناء قراءتنا، و هذا ما جعلنا نطرح عدة أسئلة تعد من أبرز الأسئلة التي يستطيع المنهج التداولي أن يجيبنا عليها من خلال مدونتنا "كليلة ودمنة". ولعل أهم سؤال نطرحه هو ما هي طبيعة العلاقة التي تحكم الباث بالمتلقي والنص؟ بمعنى ما هي العلاقة التي تحكم "بيدبا الفيلسوف" "بدبشليم الملك"؟ كيف تجلت علاقة الحكمة بالسلطة؟ وما هو دور السياق في الكشف عن هذه العلاقة؟

ما هي طبيعة الحجاج الفلسفي التداولي الذي نلمسه في النص؟ وهذا باعتبار نوعية هذا الحجاج الذي هو فعالية استدلالية خطابية مبناها على عرض رأي أو الاعتراض عليه، ومرماها اقناع الغير بصواب الرأي المعروض أو ببطلان الرأي المعارض عليه، خاصة إذا علمنا أن الخطاب كله منبعه

1 - Jean Dubois , dictionnaire de linguistique, Librairie Larousse, 1973, P(120,121).

فيلسوف حكيم مسعاه إقناع السلطان والتأثير فيه للتغيير من طبيعة حكمه الاستبدادي. وإذا كان للسلطة تأثير كبير في عملية الإقناع، فإننا في كتاب "كليلة ودمنة" نلاحظ العلاقة عكسية، بمعنى فيلسوف ضعيف من الرعية، يسعى للتأثير على سلطان من الجبابرة، هذا ما يجعل طبيعة الحجاج في الخطاب متميزة. كما لاحظنا أيضا، ظاهرة التأطير في نصوص "كليلة ودمنة"، بمعنى نص يضمن نصا آخر، وهذه الطريقة يستعملها الفيلسوف لتوضيح النصوص المضمنة أي النصوص الإطار. وهذا داخل في باب الحجاج والإقناع، بمعنى يحكي قصة ويضمنها قصة أخرى لتكون المحاجة أكثر تركيزا. ولذلك سنعكف على رصد الآليات التي تؤسس لهذه الظواهر في النص في علاقتها بالسياق.

كما لمسنا أيضا في كتاب "كليلة ودمنة" ظاهرة أخرى، وهي ظاهرة "التشخيص"، وهي جعل الكلام على ألسنة الحيوانات، وبالتالي جعل هذه البهائم والعجماوات مؤلّسة، وهي ظاهرة لم توضع هكذا اعتباطا، بل وضعت لهدف مقصود. فنجد المؤلف يُسقط على هذه الحيوانات صفات مختلفة وجعلها تتصرف وتتحدث كالإنسان، هذا ما يجعلنا نطرح سؤالاً آخر، لما هذا التلميح في شخصيات "كليلة ودمنة"؟

هذا الجانب يمكن دراسته من منظور تداولي آخر، يمكن إدراجه في نظرية قوانين الخطاب أو مسلمات المحادثة، مثل الأقوال المضمرة، وهذا الجانب الذي يسعى إلى دراسة كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى التلمحي لعدة اعتبارات تدخل خاصة في السياق، والظروف المنتجة للنص.

إنّ اختيارنا هذا الموضوع، لم يكن هكذا، بل رغبة منا في التنقيب في تراثنا الأدبي العربي الثري جدا بمادته الخام، فاخترنا مدونة "كليلة ودمنة"، أولا للاستمتاع بقراءتها، واستخراج الحكم والأمثال التربوية التي صيغت من أجلها، وثانيا من أجل تسليط الضوء عليها وإعادة قراءتها من زاوية أخرى وذلك بالاعتماد على المناهج الحديثة، هذا بالرغم من وجود دراسات سبقتنا إلى المدونة، ولكنها وباختلاف الزوايا التي درست من خلالها، فمن باحث في مجال تأصيل "كليلة ودمنة"، وآخر في

إدراجها ضمن قصص الحيوان، إلا أننا لاحظنا بعض التقصير في دراسة "كلييلة ودمنة" في ضوء المناهج الحديثة.

وعليه فإننا نحاول متابعة الفكر النقدي المعاصر بالرجوع إلى تراثنا العربي، وهذا ليس لهدف إيديولوجي عقيم، بل إيماننا منا بأن تقدم الفكر قد لا يتم أحيانا إلا بالعودة لزيارة تراث الذات >>زيارته من أجل فهم، ليس فقط ما قيل بالفعل، ولكن كذلك ما كان يمكن أن يقال، أو على الأقل ما يمكننا قوله اليوم (وربما اليوم فقط) انطلاقا مما قيل من قبل <<¹.

إن استحكام "السياق" كأداة إجرائية في تحليل خطابات "كلييلة ودمنة". أفضى بنا إلى تقسيم بحثنا هذا إلى فصلين مهدنا لهما بمدخل ناقشنا فيه، مصطلح "السياق" وعنوانه بـ"سياق الخطاب" حيث قمنا في هذا المدخل بدراسة معنى مصطلح "السياق" من خلال المعاجم الغربية التي ينحصر فيها معنى "السياق" في إطاره اللغوي الضيق، ومن خلال المعاجم الغربية المتخصصة، والتي أعطت المصطلح معنى أعمق وأوضح من التعريف.

أما الدراسات العربية فقد تمكننا من دراسة "السياق" من خلال دراسات علماء اللغة العربية سواء باحثين في خصائص اللغة العربية، أو من خلال دراسات علماء أصول الفقه في مباحثهم المشتقات من علم الأصول، حيث يعتبرون أن المعنى الدلالي في فهم ظاهر القرآن وباطنه، يعتمد على المعنى المقالي والمعنى المقامي معا.

خصصنا الفصل الأول، والمعنون بـ"عبارات السياق" للحديث عن عنوان "كلييلة ودمنة" باعتباره عتبة سياقية أولية، بما يمكن الوصول إلى عوالم النص، ثم درسنا أقطاب العملية التواصلية، باعتبارها كذلك العناصر الأساسية الفاعلة في هذا الخطاب.

أما الفصل الثاني المعنون بـ: " العملية التواصلية واستراتيجية التحاور"، فتعرضنا فيه لسياق الاستراتيجية التلميحية التي كانت طاغية في حكايات "كلييلة ودمنة"، فحاولنا أن نقف في مختلف الملمحات التي وظفها "ابن المقفع"، اعتمادا على قوانين الخطاب وكيفية تظهيرها في الحكايات، ثم

1 - ECO.U, Sémiotique et philosophie du langage, Paris, PUF, 1993, P13.

درسنا الافتراضات المسبقة باعتبارها الآليات التي اعتمد عليها "ابن المقفع" لكي يأتي خطابه على شكله المقنع، وهذا راجع بالطبع إلى تدخل السياق الثقافي والاجتماعي الذي ألفت فيه خطابات "كليلة ودمنة"، ثم عمدنا إلى دراسة تقنيتي الإمتاع والإقناع، التي وظّفها "ابن المقفع" كذلك لكي يكون خطابه أكثر تأثيراً على متلقيه.

أما أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا فنذكر على سبيل المثال لا الحصر، كتاب "عبد الهادي بن ظافر الشهري" المعنون بـ"استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية)"، الذي فتح لنا المجال في فهم النظرية التداولية بشكل عميق، ثم كتابي "طه عبد الرحمان" اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" و"أصول الحوار وتحديد علم الكلام"، ثم كتاب "حنّا الفاخوري" "تاريخ الأدب العربي" ود/ "عبد الأمير شمس الدين" في كتابه "الفكر التربوي عند ابن المقفع"، الجاحظ، عبد الحميد الكاتب" اللذان فتحا لنا المجال للوصول إلى أغراض "ابن المقفع" في كتابه "كليلة ودمنة". بالإضافة إلى اعتمادنا على كتب مترجمة وأخرى غير مترجمة.

واجهتنا عدة عراقيل وصعوبات، أثناء قيامنا ببحثنا هذا، نذكر منها قلة المراجع فيما يخص موضوع التداولية، وإن وجدت فباللغات الأجنبية، الأمر الذي صعب علينا ترجمة الكثير من المصطلحات فيما يخص هذا المجال، إضافة إلى قلة المراجع التي اهتمت بتحليل كتاب "كليلة ودمنة" باستحكام آليات الدراسات الحديثة وهذا إن لم تكن منعدمة، الأمر الذي جعلنا نعتمد على المصدر بشكل كبير جداً.

في الأخير نتوجه بشكرنا الكبير للأستاذ المشرف "عبد العزيز مصباحي" الذي كان له الدور الكبير والفعال في إتمام هذا العمل.

كما نقوم بتوجيه شكرنا الخالص إلى اللجنة التي قامت بقراءة عملنا هذا.

مدخل

1- تقديم مدونة:

يعود اختيارنا لمدونتنا، هذه إلى عدة خلفيات راعيناها، أثناء الشروع في تحليل كتاب "كليلة ودمنة" ولبروز خصوصيات كثيرة سنأخذها بعين الاعتبار في التحليل، وهذا لأننا سوف نقوم بتحليل السياق في مدونتنا هذه من خلال أبرز النظريات الحديثة التي عنيت بهذا المصطلح بكل جوانبه، ألا وهي النظرية التداولية.

1-1- الحوار في كليلة ودمنة:

ولعل من أبرز العناصر التي يتميز بها كتاب "كليلة ودمنة" هو عنصر الحوار بكل أبعاده، الذي نجده عادة في المسرحية، فتكاد القصص -المضمنة في هذا الكتاب- تكون كلها بمثابة مشاهد من مسرحيات مختلفة، كل واحدة منها تحكي لنا عن مثل معين يسوقه الفيلسوف (بيدبا) للملك (دبشليم) بواسطة حكايات تتضمن شخصيات رمزية، وهي حيوانات تدور بينها حوارات حول مختلف القضايا التي عرضها "ابن المقفع" في هذا الكتاب حتى أنه بإمكاننا تقسيم الأبواب التي وردت في الكتاب إلى فصول ومشاهد مسرحية، تزدحم فيها التحليلات النفسية، كباب "الأسد والثور" وباب "الأسد وابن آوى الناسك".

وخصوصية الحوار في "كليلة ودمنة"، تكمن في إظهاره اللغة بمستواها التفاعلي والتواصلية ويكشف عن عنصر الذاتية لموجود فيها، كما يمتاز كذلك بميزة "الإقناع" كاستراتيجية، يسعى من خلالها الفيلسوف، للتأثير على الملك (دبشليم)، هذا في مستوى الحوار الذي أردنا تسميته "بالحوار الإطار"، ثم تأتي باقي الحوارات المضمنة في باقي حكايات "كليلة ودمنة".

1-2- الختاب في كليلة ودمنة :

ويندرج خطاب "كليلة ودمنة" ضمن جنس الخرافة¹ (الحكاية على لسان الحيوان)، وهي حكايات ذات طابع خلقي وتعليمي في قلبها الأدبي الخاص بها، وهي تنحو منحى الرمز - في معناه اللغوي العام لا في معناه المذهبي - ومعناه أن يعرض الكاتب أو الشاعر شخصيات وأحداث على حين يريد شخصيات وأحداث أخرى عن طريق المقابلة والمناظرة. بحيث يتبع المرء في قراءتها صور الشخصيات الظاهرة، التي تكشف عن صور شخصيات أخرى تراءى خلف هذه الشخصيات الظاهرة، وغالبا ما تحكى على لسان الحيوان أو النبات أو الجماد، كما أنها تحكى أيضا على ألسنة شخصيات إنسانية تتخذ رموزا لشخصيات أخرى.²

1-3- تعريف الكتاب:

يعود أصل الكتاب إلى الهند، فأصله مكتوب باللغة السنسكريتية القديمة، وقد ذكرت فيه أسماء هندية وعادات بوزية، كالامتناع عن أكل اللحم وغير ذلك، كما أن فيه قصص تلائم العقل الهندي والخلق الهندي، والأساليب الهندية في الكلام والرواية، ويقال أن هذه الحكايات الفارسية والهندية الموجودة في كتاب "كليلة ودمنة"، سعى إليها ملك فارس "كسرى أنو شروان" في القرن السادس للميلاد، فأرسل "برزويه"، أحد حكماء بلاده، ليأتيه بها، فتحشم في سبيل ذلك مشقة، ولما جاء طلب منه نقلها إلى اللغة الفهلوية (اللغة الفارسية القديمة) ثم احتفظ بها في خزانته.³

وبعدها عرض الكتاب "لعبد الله ابن المقفع" - الفارس الأصلي - في القرن الثامن للميلاد (8م) فنقله إلى اللغة العربية نحو سنة (750م)، ومنها نقل فيها بعد إلى لغات العالم، حتى

1- واسمها باللاتينية Fabula، أي الحكاية أو الخرافة، وأصبحت هذه الكلمة اللاتينية في اللغة الفرنسية وفي الإنجليزية، Fable واسمها في اليوناني Apologos، أي الحكاية ذات مغزى خلقي، واسمها الديني المسيحي على حسب الإنجيل: Patabola، وهي كلمة دينية معناها الاصلي: المقارنة ثم إن صاحب "الفهرست" "ابن جني" ومن نحو نحوه يسمونها في العربية: الخرافة، ينظر: محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن تحفة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر 2004.

2- ينظر: محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن تحفة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر 2004، ص 148.

3- ينظر: حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ط 10، المكتبة البوليسية، لبنان 1980، ص 446.

الفارسية منها، لأن الأصل الفارسي القديم قد ضاع، ولأن الترجمة السريانية القديمة بقيت مدة طويلة ضائعة.¹

وبهذا فإن الباحثين اتفقوا على أن القصص الواردة في كتاب "كليلة ودمنة" تندرج ضمن ثلاثة أصول هي: الأصل الهندي الذي يعود إلى كتاب "بنج تنترا" إي الدروس الخمسة الذي ألفه البرهمي "وشنوشرما" - وإن كانت بعض قصصه وجدت في كتب بوذية أخرى، أمثال: "إسواهي" و"كرماجتكا" وإلى كتاب: "المهابتاراتا" الهندي، وأصل فارسي هو قصص ضمها النقلة الفرس إلى الحكايات الهندية حيث ترجموها من اللغة السنسكريتية إلى اللغة البهلوية.²

وهناك قصص أخرى في الكتاب مشكوك نسبها إلى المصدرين السابقين (الهندي-الفارسي) قيل أن "ابن المقفع" وضعها أو عدّل في ترجمتها، فبدت مخالفة لأصلها، مثل "باب برزويه المتطلب" و"باب الفحص عن أمر دمنة"، لما فيه من روح إسلامية، و"باب الناسك والضيف" ومثل "الفيل والقنبرة".³

وقد ذكر أن الاسم السابق للكتاب الهندي "بنج تنترا" هو "نيتي شاستر"، أي "كتاب السياسة" وبعد ترجمة الكتاب إلى اللغة الفارسية، أختير له اسم "كليلك ودمنك" وهما البطلين الرئيسيين في باب "الأسد والثور"، وقد تُرجم الإسمان عن اللغة السنسكريتية حيث كانا: "كرتكا ودمنكا"، وحين نُقل الكتاب إلى اللغة العربية، أُستبدل حرف "الكاف" في كل منهما "هاء" فصارا "كليلة ودمنة" وقد افترض بعض الباحثين أن اللفظين عربيان، اختارهما "ابن المقفع" لدلالتهما على شخصيتي البطلين المذكورين.⁴

يتضمن كتاب "كليلة ودمنة" خمسة عشرة باباً، بعد المقدمات الأولى، وهي "مقدمة علي بن الشاه الفارسي" و"عرض الكتاب لابن المقفع" و"بعثة برزويه إلى بلاد الهند" و"باب برزويه

1- ينظر: حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص 450.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 447.

3- ينظر: عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، تحقيق وتقديم: محمد أمين فرشوخ، ط1، دار الفكر العربي، بيروت 1990، ص17.

4- ينظر: المصدر نفسه، ص 18.

المتطلب" "فمقدمه" علي بن الشاه الفارسي" يحكي لنا عن بعض الأساطير التي خلّفتها فتوح الإسكندر المقدوني في الشرق والمراد من وضع هذه المقدمة هي الإبانة عن السبب الذي لأجله ألف هذا الكتاب "كليلة ودمنة" كذلك أريد بها التعريف بـ "دبشليم" الملك و"بيدبا" الفيلسوف.

أما "مقدمة ابن المقفع" في الكتاب فتتضمن تعريفاً "لابن المقفع" بالكتاب، ونسبه إلى واضعيه الأصليين، وحدد وجهته والغاية من تأليفه، يقول "ابن المقفع" في ذلك: "وينبغي للناظر في هذا الكتاب أن يعلم أنه ينقسم إلى أربعة أغراض: أحدهما ما قصد فيه إلى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة، من مسارعة أهل الهزل من الشبان إلى قراءاته، فتستمال به قلوبهم، لأن هذا هو الغرض بالواد من حيل الحيوانات والثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان ليكون أنسا لقلوب الملوك، ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور، والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتحذه الملوك والسوقة. فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام، وليستفيع بذلك المصور والناسخ أبداً، والغرض الرابع وهو الأقصى مخصوص بالفيلسوف خاصة".¹

وبهذا فإن كتاب "كليلة ودمنة" يفهم عند "ابن المقفع" بوجهين، الأول وهو الحكمة التي تضمنها في قالب متميز لم يسبق أن عرف الأدب العربي مثله، والثاني وهو اللهو الذي يثيره أشخاص الحكاية في المثل الخرافي والأول غاية والثاني وسيلة.

أما بالنسبة للأبواب، فإن الكتاب ينقسم إلى عدة أبواب، كل باب يحكي عن أمر ما، يريد الملك أن يعرفه وكل باب يحوي أمثالا معينة، فأولى هذه الأبواب هو باب "الأسد والثور"، حيث يشرح لنا فيه الفيلسوف (بيدبا)، ما يجري في البلاط والحياة من مكائد ودعايات، كما يبين لنا أخطاء الملك وغروره في سوء اختياره الذين يقربهم منه ويأتمنهم على أسراره، فيما يخص دولته وأموره الشخصية، وقلة تبصره في الإصغاء لوشاية المحتالين، وما ينتج عن كل ذلك من جرائم وظلم في حق الناس، فكان من أمر الكذوب المحتال "دمنة" أن قطع بين المتحابين (الأسد والثور) حتى حملهما على العداوة بعد الصداقة، حيث لقي "الثور" من هذه العداوة ضرراً كبيراً.

1- عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، مراجعة وتعليق الأستاذ عرفان مطرجي، ط1، دار الفكر، لبنان 2005، ص 67.

وظّف "ابن المقفّع" في هذا الباب سبعة عشرة مثلاً، مدعماً بها طرحه للأفكار، وتوظيفه للمثل من قبيل الإقناع، ومحاولته لإيجاد الصيغة المنطقية لنا يطرحه من أفكار، فرغم أن الفيلسوف الحكيم "بيدبا" هو الذي يسعى إلى الإقناع - إقناع "دبشليم" الملك - بطرحه للقضايا، إلا أن الحقيقة هي محاولة "ابن المقفّع" إقناع المتلقي بتوظيفه لهذه الحكايات والأمثال، كتقنيات ناجعة في عملية التواصل، بل أكثر من ذلك وظفها كحجاج لإقناع الآخر.

أما باب "الفحص عن أمر "دمنة": فيحكى لنا عن محاكمة "دمنة" وكيف لقي مصرعه جزاء لما فعله من إفساد صداقة الأسد والثور، بالنميمة والاحتيال ويلخص هذا الباب في القيمة الأخلاقية القائلة: " للباطل جولة وللحق دولة ".

وفي باب "الحمامة المطوّقة": يحكي عموماً أموراً عن الصداقة، ومدى إمكانها بين المتنافرين المتضادين.

وباب "البوم والغربان": يطرح أموراً في السياسة الخارجية، والحرب بين الملوك وبين الأمم واستطلاع أخبار العدو، ويوضح مكان الحيلة من السياسة، وكيف يعامل العدو، وكيف يجب اللجوء معه إلى الحذر مهما أظهر من تضرع وتملق.

ثم يأتي باب "القرد والغليم": ويحكى لنا عن عواقب الغباوة، وكيف يطفو معها صاحب الحاجة بحاجته فيضيعها، وصاحب الفطنة كيف يقع صاحبها في ورطة فيتخلص منها.

أما باب "الناسك وابن عرس": يلخص لنا مثل الرجل المتسرع في أمور من غير روية ولا بعد نظر فهو أبداً نادماً.

وباب "السنور والجرذ": يوضح لنا معنى الحكمة في التماسك والموالاتة والصلح أحياناً، ويوضح لنا أيضاً الفرق بين الصداقة الحقيقية وتلك التي تُبنى على الحاجة والضييق.

وباب "الملك والطير فنزة": يدور حول الثأر والانتقام بحيث يتّقي أصحابهما بعضهم البعض.

وباب "الأسد وابن آوى الناسك": يمثل الرجوع إلى الصداقة بعد العداوة، وعلاقة الملوك فيما بينهم وبين جلسائهم، وملخص ذلك أنّ من واجب الملك أن يراجع من أصابته جفوة أو عقوبة عن جرم أو ظلم، ولا سيما إذا كان ذلك الشخص ممن يستعان به ويوثق برأيه.

ثم يأتي باب "الأسوار واللبؤة والشعهر": ويمثل الإنسان الذي يدّعي ضرر غيره، إذا قدر عليه بما يصيبه من الضرر، ويكون له بما ينزل عليه واعظ وزاجر عن ارتكاب الظلم والعداوة لغيره.

أما باب "إيلاذ وبلاذ وإيراخت": فهو باب هندي بوذي، يمثل العداوة القائمة منذ زمن بعيد بين البراهمة والبوذية، وهو قسمان، القسم الأول يحكي قصة الأحلام الثمانية التي رآها الملك وتأويلها والقسم الثاني يحكي عن المحاورة بين الملك ووزيره، وفي هذا الباب يسأل "دبشليم" الملك، الفيلسوف "بيدبا" عن الأشياء التي يجب على الملك أن يلزم بها نفسه، ويحفظ ملكه، ويثبت بها سلطانه، ويكون ذلك رأس أمره وملاكه: الحلم، أم المروءة، أم الشجاعة، أم الجود؟

و باب "الناسك و الضيف": يمثّل من يترك ما في يده ليطلب غيره، فيضيّع هذا و ذاكوظّف فيه مثل واحد و هو مثل الغراب و الحجلة.

وباب "السائح والصائغ": فهو باب يصدق عليه قول "اتق شر من أحسنت إليه"، كذلك يبيّن تصرّف صنفين من الناس، صنف يشهد ويحفظ المعروف، وصنف آخر يكفر ربه ويسيء إليه وبشكل عام يمثل هذا الباب صنع المعروف في غير أهله، كما يبيّن في الوقت نفسه من يستحق المعروف والثقة والمثل الموظّف في هذا الباب هو مثل الحية والقرود والبير.

والباب قبل الأخير هو "باب ابن الملك وابن الشريف وابن التاجر وابن الآكار": وهو باب يجري عموماً حول عنصري القضاء والقدر.

والباب الأخير هو "باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين": ويحكي لنا عن الشخص الذي ينفع برأيه الآخرون وهو لا ينتفع به.

هذا باختصار عرض مبسط للأبواب التي يحتويها كتاب "كليلة ودمنة" الذي يتضمن عموماً تفصيلاً لواجبات الراعي تجاه رعيته، وواجبات الرعية تجاه راعيها، وما يجب على كل إنسان أن يحافظ

عليها من جهة الصداقة والصدق في القول والعمل، وكل الممارسات اليومية التي يقوم بها كآداب الضيافة وآداب المحادثة، ووجوب استحكامه العقل عندما تعترض سبيله مشاكل تستدعي الحكمة وإعمال الفكر، و تبيان مدى نجاعة الاستشارة أو طلب المشورة من ذوي الرأي الصالح.

2- سياق الخطاب .

تعدّ إشكالية تحديد المعنى من بين أهم المواضيع التي خاض فيها الدارسون اللغويون، هذا ما جعلهم يبحثون في الكشف عن الآليات التي بإمكانهم استعمالها للوصول إلى الفهم الجيد للمعنى الذي يحمله أي نص أدبي، فانطلقوا أولاً من المعجم وأقروا على أن القواميس كافية لتحديد معاني المدلولات، إلا أن هناك من يرفض هذا الاتجاه مفسّراً ذلك أن القاموس لا يستطيع أن يحصر جميع السياقات التي تقع قبلها كل كلمة.

ولما كان نظام اللغة متشابك العلاقات بين وحداته، ومفتوحاً دوماً على التجديد والتغيير في بنياته المعجمية والتركييبية حتى غداً تحديد دلالة الكلمة يحتاج إلى تحديد مجموع السياقات التي ترد فيها، ظهرت نظريات أكدت بأن للسياق دوراً هاماً في منح الكلمة مفهومها الخاص.

وإذا كان منهج النظرية السياقية يعدّ من المناهج الأكثر موضوعية ومقاربة للدلالة، فهذا ما يجعلنا لا نستغرب إذا أثبت أن الاهتمام والبحث والتنظير لمصطلح السياق *Le contexte* كان وليد علم الدلالة اللغوي *La sémantique linguistique*¹، الذي يعتبر علماً حديثاً بمقارنته مع العلوم اللغوية الأخرى، وقد كان اهتمامه بالمعنى الشيء الذي أفضى به إلى اهتمامه بالسياق كأداة إجرائية تلعب دوراً هاماً في تحديد المعنى، ولأن السياق يحمل حقائق إضافية تشارك الدلالة المعجمية للكلمة في تحديد الدلالة العامة التي قصدتها الباث، ومن أجل هذا نجد المهتمين بعلم الدلالة قد اتفقوا على أن للكلمة معنى قاعدياً *Le sens de base*، ومعنى سياقياً *Sens contextuel*².

وبما أن مفهوم السياق *contexte** تطور، إذ لم يعد يقتصر على الجانب اللغوي في إيضاح دلالة

1- ينظر: على آيت أوشان، السياق والنص الشعري (من البيئة إلى القراءة)، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2000، ص15.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

* يتكون مصطلح *contexte* من مقطعين *con+texte* أي من النسج، استعمل المصطلح أولاً ليعني الكلمات المصاحبة للمقطوعات الموسيقية، ثم استعمل بعد ذلك في معنى النص، أي في تلك المجموعة من الكلمات المترابطة مكتوبة أو مقروءة، ثم أصبح المصطلح يعني ما يحيط بالكلمة المستعملة في النص من ملابسات لغوية وغير لغوية. ينظر: كريم زكي حسام الدين، التحليل الدلالي (إجراءاته ومناهجه)، ج1، دار غرب، القاهرة، ص (97،98).

الصيغة اللغوية، وإنما وجدت جوانب أخرى قد تنحسم معها الدلالة المقصودة للكلمة، كالوضع والمقام الذي يحدث فيه التواصل، أو الملامح الفزيولوجية النفسية للمتكلم التي تصاحبه أثناء الحديث. ارتأينا في المدخل أن نتحدث عن مفهوم "السياق"، انطلاقاً من خلال المعاجم العربية والمعاجم الغربية، لنبين الفرق الموجود بينها وبين تعريف هذا المصطلح، ثم سنحاول أن نتطرق لهذا المصطلح من خلال المناهج الحديثة كاللسانيات النصية وتحليل الخطاب والتداولية، لنصل إلى البحث عن معنى "السياق" في التراث العربي من خلال أعمال وبحوث الأصوليين واللغويين العرب.

2-1- تعريف السياق من خلال المعاجم العربية والغربية:

أ - من خلال المعاجم العربية:

لقد اهتمت القواميس بمختلف مشاربها بتعريف كلمة "السياق" بأشكال مختلفة، فهناك مثلاً قواميس غير متخصصة عالجت المصطلح بشكل عام غير دقيق، في حين نجد بعض القواميس الأخرى المتخصصة في مجالات عديدة مثل اللسانيات والسيميايات والتداولية، تعرّف مصطلح "السياق" بشكل دقيق ومتخصص راعية بذلك نوع من الوعي النظري والمنهجي.

و القواميس العربية نجدها تعرّف "السياق" بشكل مختلف، بحيث أننا لا نجد معنى هذا المصطلح نفسه في كل القواميس، ولا نجدهم يقتربون من التعريف الحديث الذي ساقته المناهج الحديثة، بل يكاد تعريفهم للسياق ينحصر في إطاره اللغوي الضيق.

ومن معاني السياق عند العرب ما أورده "ابن منظور" في معجمه "لسان العرب" حيث أدرج لفظ السياق في مادة "سوق" فيقول: >> ساق الإبل وغيرها، يسوقها سوقاً وسياقاً، وهو سائق وسوّاق... وساق إليها الصداق و المهر سياقاً وأساقه... وساق خلال من امرأته أي أعطاه مهرها والسياق: المهر... وساق بنفسه سياقاً: نزع بها عند الموت، ويُقال فلان في السياق أي في النزع (أثناء الموت) والسياق: نزع الروح <<¹.

1- ابن منظور، لسان العرب، ج3، دار الجليل، دار لسان العرب، بيروت 1988، ص 242.

نلاحظ أن معنى مادة "السياق" عند "ابن منظور" جاءت في ثلاث معان وهي: قاد، أعطى ونزع.

أما "الزنجشري" في معجمه "أساس البلاغة" فنلاحظ أنه أعطى دلالة أخرى للفظ السياق أوردتها في الاستعمال المجازي للفظ، حيث ربط بين لفظ السياق والحديث (الاستعمال)، فيقول في مادة "سَوَقٌ" أن: >> سَوَقٌ، ساق التَّعم فانسقت، ومن المجاز: ساق الله إليه خيرا، وساق إليها المهر... وساق الرياح السحاب، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يُساق الحديث، وهذا الكلام مساقاة إلى كذا وجئتُك بالحديث على سوقه: أي على سرده <<¹.

فالزنجشري رغم تفتنه إلى العلاقة القائمة بين السياق والحديث إلا أنه لم يخرج عن الإطار الذي عرفت من خلاله مصطلح "السياق" القواميس العربية.²

هذا فيما يخص تعريف المعاجم العربية لمادة "السياق"، أما المعاجم الغربية فنجدها تحدد لنا مصطلح "السياق" بنوع من التعمق لأنها معاجم متخصصة، فنجدها تحيط هذا المصطلح بكل جوانبه التي تكونه.

ب - من خلال المعاجم الغربية:

فالباحثة "جوزيت راي دوبوف" مثلا تعرّف "السياق" في معجمها السيميائي (Lexique (Sémiotique)³ فيأتي في معنى قولها، على أنّ سياق علامة ما (signe)، رسالة ما (Message)، هو إنتاج دلالي أين يتمظهر المحيط فيها واسعا أو ضيقا، وهو المقام الذي يعطي لها دلالة محددة (سياق لغوي، موسيقي، هندسي...)، وتتركز الباحثة كثيرا على السياق المقامي (Le contexte situationnel)، والذي تعتبره المقام (حالة الأشياء، أو المرسل والمرسل إليه) الذي

1- الزنجشري أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، 1979، ص225.

2- ابن منظور، المرجع السابق، ص ن .

3 - Voir : Josette Ray-Debove , lexique sémantique, 1^{ère} édition, Presse universitaire de France (PUF) , Paris, 1979, P35.

تنتج ضمنه الرسالة، والسياق المقامي عند " راي دوبوف " يكون في بعض الأحيان الوحيد والضروري لفك مختلف الغموضات التي يمكن أن تحويها الرسائل.

أما مصطلح "السياق" في "معجم السيميائيات" لـ"غريماس وكورتيس"، فهو مجموع النصوص التي تسبق أو تواكب وحدة تركيبية معينة وتتعلق بها الدلالة (La signification)، حيث يمكن أن يكون صريحا (Explicite) أو لسانيا، ويمكن أن يكون ضمنيا (implicite) ويتميز في هذه الحالة بأنه سياق خارج لساني (extra linguistique) أو مقامي (Situationnel)، وقد ذكر الباحثان في نفس السياق، أن جاكبسون في الترسيمة التي حدد بها الوظائف التواصلية، وضع السياق كعنصر من أهم العناصر التي تشكل النشاط اللغوي ومآله بالمرجع، إنَّها "الوظيفة المرجعية للغة" والتي تعتبر ضرورية في توضيح الإرسالية، سواء كان السياق منطوقا أو قابلا للنطق.¹

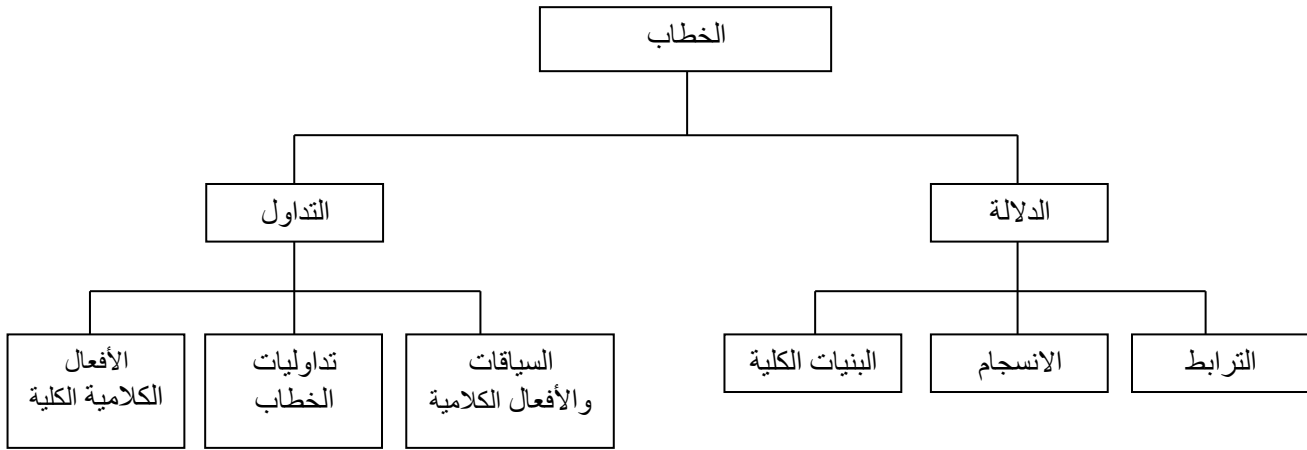
2-2 - مفهوم السياق من المنظور الغربي والعربي:

أ- من المنظور الغربي:

ينطلق "فان دايك" -أحد أعلام لسانيات الخطاب- في كتابه المرسوم "النص والسياق" (1977)* من هدفه المتمثل في إنشاء مقارنة أكثر وضوحا وتنظيما للدراسة اللسانية للخطاب، حيث نجده يقسم الكتاب إلى قسمين، القسم الأول دلالي والقسم الثاني تداولي، وتندرج مظاهر كل قسم في خطاطة وهي كالتالي:²

1 - Voir : Grimas.J , sémantique, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette université, PP16-17.

* في هذا الكتاب نجد "فان دايك" قد طور أطروحاته وآرائه الموجودة في كتاب ابق له some Aspects of text grammars
2- محمد خطاطي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام النص)، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب 1991، ص27.



ويذهب "فان دايك" إلى >> أن النظرية اللسانية تهتم بأنساق اللغة الطبيعية، أي تراكيبها المتحققة أو الممكنة التحقق، وبتطورها التاريخي ومختلف أنشطتها الثقافية ووظيفتها المجتمعية وأسسها المعرفية <<¹، وهذه الأنساق التي تحدت عنها "دايك" هي عبارة عن قواعد متواضع عليها، تحدد السلوك اللغوي، كما يتجلى في استعمال أقوال لغوية في مقامات تواصلية معينة. إلى جانب المستوى النحوي الذي ذكره "دايك"، أضاف مستوى آخر سَمَّاه بمستوى فعل الكلام و>> ذلك أن كل عبارة متلفظ بها ينبغي ألا توصف فقط من جهة تركيبها الداخلي والمعنى المحدد لها، بل ينبغي أن ينظر إليها كذلك من جهة الفعل التام الإنجاز المؤدي إلى إنتاج تلك العبارة <<²، ويعني "فان دايك" بهذا المستوى، المستوى التداولي الذي يهيئ شروطا حاسمة تجعل الأقوال مقبولة تداوليا، وهذا معناه أن يصير تركيبها مناسبا لمقتضى الحال بالنظر إلى السياق التواصلية.

وإذا كانت المهمة الأولى للتداولية هي تحويل الموضوعات إلى أفعال منجزة، فإن المهمة الثانية لها هي تنزيل هذه الأفعال في موقف معين، ويستعمل "فان دايك" مصطلح "السياق" الذي يتحكم في مدى نجاح أي عبارة في أي موقف، ويعرفه على أنه: >> عبارة عن تجريد عالي الصورة المثالية مأخوذ من موقف ما، وهو يحتوي فقط على أحداث تعين على نحو مطرد مناسبة العبارات المتواطأ

1- فان دايك، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب 2000، ص 17.

2 المرجع نفسه، ص 18.

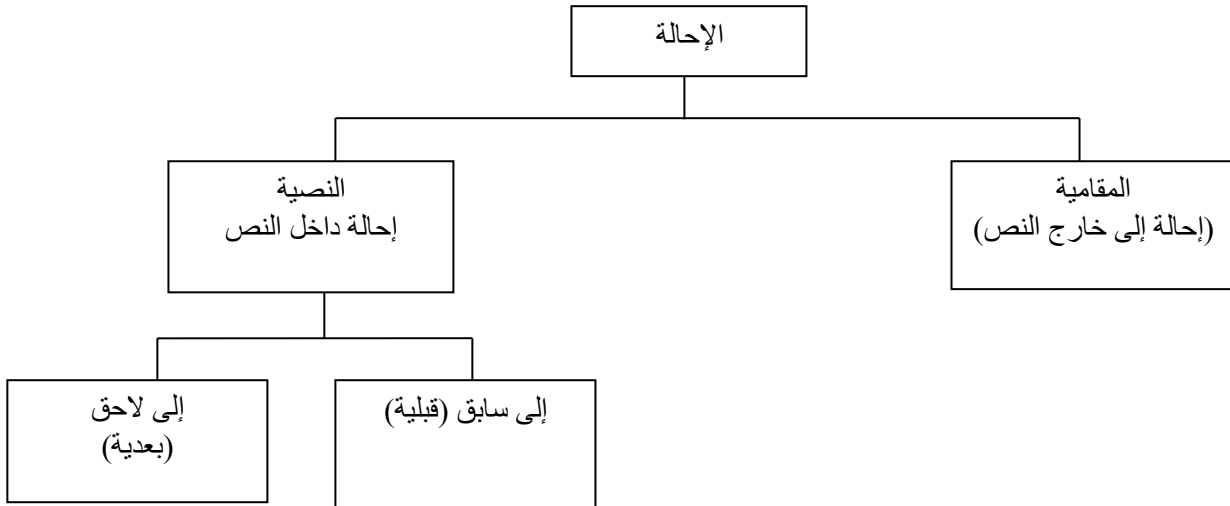
عليها، وجزء من مثل هذه السياقات قد يكون على سبيل المثال أفعال كلام المشاركين وتكوينهم الداخلي (معرفتهم واعتقاداتهم، وأغراضهم، ومقاصدهم)، كما قد تكون الأفعال المنجزة ذاتها وبنياتها والصفة الزمانية والمكانية للسياق حق يمكن وضعها في محل من عالم ممكن متحقق <<¹.

وبعد هذا فإننا نجد "فان دايك" يضع بنية عامة يتألف من خلالها السياق، بحيث يقر على أن أي موقف تواصلية يجب أن يحتوي على الأقل شخصان >> أحدهما فاعل حقيقي والآخر فاعل على جهة الإمكان أي المتكلم أو المخاطب على التوالي <<²، وكلا هذين الشخصين ينتميان إلى جماعة لسانية لها نفس اللغة ونفس ترابط ضروب الاتفاق والتواطؤ للقيام بالفعل المشترك الإنجاز ولهذا فإن "دايك" يشترط وجود قطبين مشاركين في الحديث في سياق محدد بعينه، وعلى هذا الأساس فإن السياق لديه هو كل متكامل، بالنسبة لتحليل النصوص حيث يقوم بدراستها من خلال بنيتها الداخلية وبنيتها الخارجية ومن حيث العملية التواصلية التي تتم فيها من خلال عنصري الباث والمتلقي.

هذا من جهة، من جهة أخرى نجد مصطلح "السياق" من منظور اللسانيات الوصفية وبالتحديد من خلال الشخصين "هاليداي" و "رقية حسن" في كتابهما "الاتساق في اللغة الإنجليزية (1976)" فإنهما يذكران مصطلح السياق من خلال استعمالهما لمصطلح "الإحالة" استعمالاً خاصاً بحيث يعتبران العناصر المحيطة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، بل لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتنقسم الإحالة في رأيهما إلى نوعين: الإحالة المقامية والإحالة النصية وتتفرع الثانية إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية، وقد صاغ هذا التقسيم في الرسم الموالي:

1- فان دايك، النص والسياق، المرجع السابق، ص 257.

2- المرجع نفسه، ص 258.



ومنه فإنّ الإحالة يمكن أن تكون مقامية أو نصية، وبالتالي يستتج وجود نوعين من السياقات التي تمكّننا من فهم النصوص بمختلف أنواعها، ألا وهي السياق النصي الداخلي بفرعيه البعدي والقبلي والسياق المقامي وما يسمى بالسياق الخارجي.¹

وما يمكن استنتاجه مما مر علينا، هو أن جل الدراسات الغربية، استطاعت أن تحاصر مفهوم السياق من كل الجوانب المحيطة به، حتى أن مثل هذه الدراسات تقرر على أن الخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل بأن يوضع في سياقه، إذ كثيرا ما يكون المتلقي أما خطاب بسيط للغاية من حيث لغته، ولكنه قد يتضمن قرائن تجعله غامضا غير مفهوم بدون إحاطة بسياقه ومن ثم فإن للسياق دورا فعالا في تواصلية الخطاب وفي تحقيق انسجامه بالأساس وما كان ممكنا أن يكون للخطاب معنى لولا الإمام بسياقه.

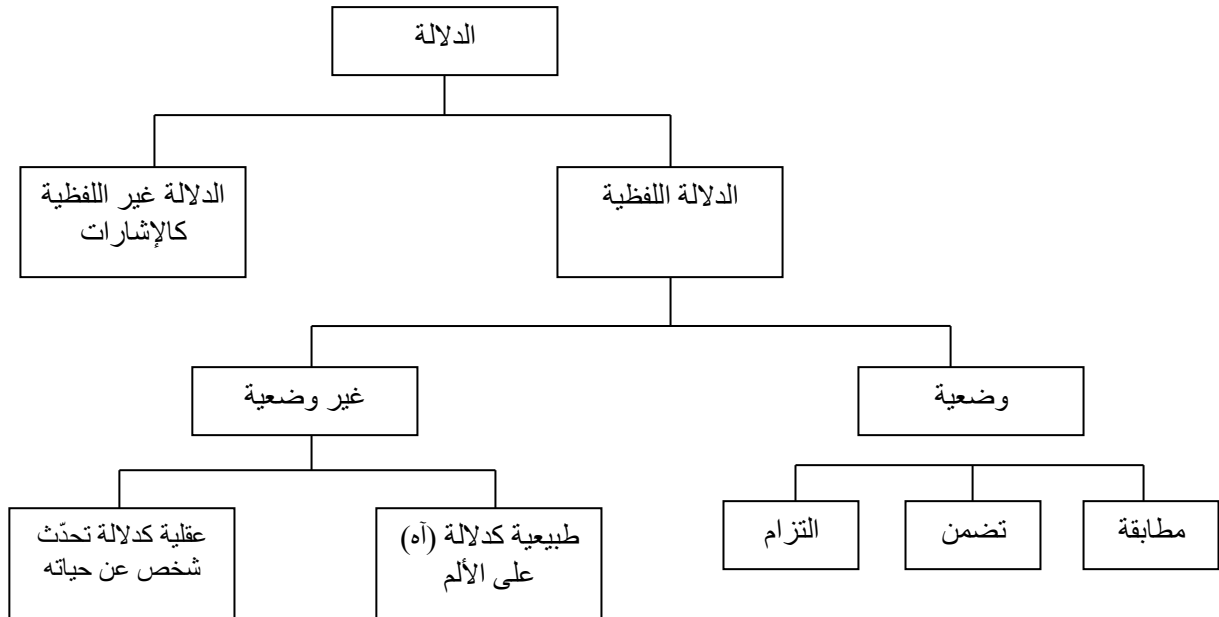
ب - من المنظور العربي:

إذا حظي مفهوم السياق بمكانة هامة في البحوث و دراسات علماء اللغة الغربيين، فإننا نجد نفس الاهتمام بهذا المفهوم بالنسبة لعلماء اللغة العربية خاصة منهم الأقدمون، سواء كانوا باحثين في

1- ينظر: محمد خطاي، لسانيات النص، المرجع السابق، ص17.

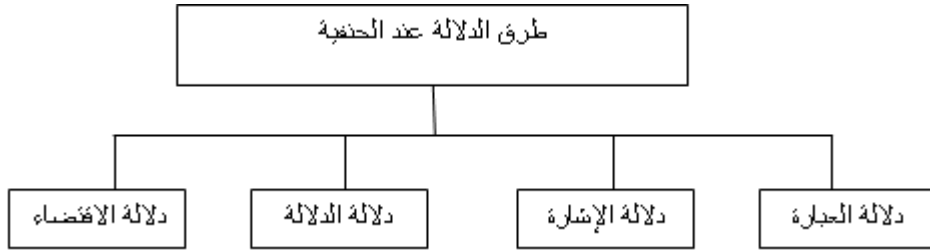
خصائص اللغة العربية "كالجرجاني" و"ابن جني" و"الجاحظ" وغيرهم أو علماء أصول الفقه في مباحثهم المشتقات من علم الأصول الذي يحصره في الأقسام الأربعة التالية: الأحكام الشرعية - الأدلة الشرعية - طرق الاستدلال (القواعد الأصولية اللغوية) - أحكام الاجتهاد، و كان هدفهم الأساسي في ذلك هو ضمان الفهم الصحيح و البين لمحتوى القرآن الكريم و استنباط الأحكام الشرعية الصحيحة منه، و نذكر من بين أشهرهم "الإمام الغزالي" و "الشافعي" و "الأمدي" من خلال كتابه "الأحكام في أصول الأحكام" و غيرهم.

كثيرا ما تعلقت دراسات العرب فيما يخص السياق، بالبحث عن دلالة "القرآن" بحيث نجدهم قد خاضوا كثيرا في كيفية تقسيمهم للدلالة، فقد قسم المناطقة مثلا الدلالة إلى نوعين، دلالة لفظية و دلالة غير لفظية، وقسموا الدلالة اللفظية إلى وضعية وغير وضعية، ثم إن الدلالة الوضعية تنقسم بدورها إلى دلالة المطابقة والتضمن والالتزام، وبدورها الدلالة غير الوضعية، تنقسم إلى دلالة طبيعية و عقلية كما يوضحه المخطط التالي الذي صاغه "محمد يونس علي" في كتابه وصف اللغة العربية دلاليا.¹



1- ينظر: محمد محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلاليا (في ضوء مفهوم الدلالة المركزي "دراسة حول المعنى وظلال المعنى")، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا 1993، ص72.

كما نجد أيضا تقسيما آخر عند علماء الحنفية، ينضبط بما يمكن تسميته "مبدأ القصدية" ومقتضاه، أنه لا كلام إلا مع وجود القصد وصيغته هي "الأصل في الكلام القصد"¹ ولفظ القصد لا تعني إلا استلزامات القول للصيغة السياقية والمقامية، وبهذا فإن أتباع الحنفية يقسمون أنواع الدلالات إلى: دلالة العبارة - دلالة الاقتضاء - دلالة الدلالة - دلالة الإشارة.



أما "الأمدي" فقد قسم الدلالات التي يحملها سياق الخطاب وتضطلع بإبرازها عناصر لغوية إلى ثلاث دلالات، دلالة التنبيه والإيماء - دلالة المفهوم - دلالة الإشارة، بحيث لا يتم فهم أي دلالة من هذه الدلالات إلا بتدخل السياق، ففي تعريف "الأمدي" مثلا لدلالة المخالفة بقوله >> وأما مفهوم المخالفة فهو ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفا لمدلوله في محل النطق ويسمى دليل الخطاب أيضا <<²، وهي عملية من خلالها نقوم باستخراج دلالة غائبة من دلالة حاضرة، فإذا قلنا مثلا: "اليوم قمت باكرا" دلّ السياق أنك بالأمس لم تقم باكرا، وهذا هو مفهوم المخالفة، وما نلاحظه هنا هو قرب هذا المفهوم إلى أهم المفاهيم التي تقوم عليها التداولية اليوم، ألا وهو الافتراضات المسبقة *présupposition*.

1- طه عبد الرحمان، اللسانيات والميزان والتكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1998، ص103.

2- الأمدي سيف الدين أبي الحسن علي بن محمد، الأحكام في أصول الأحكام، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص69.

الفصل الأول

عتبات السياق

- المبحث الأول: عنوان كلية ودمنة الدلالة والرمز
- المبحث الثاني: أقطاب العملية التواصلية
- المبحث الثالث: دراسة الزمان و المكان

تمهيد:

يعتبر السياق من أهم العناصر التي تعنى بتحليله مختلف الدراسات التداولية، التي تركز كثيرا على البحث في نوعية العلاقات القائمة بين العلامات ومستعملها واستعمالها وآثارها وتطلق التداولية بذلك على التخصص الذي يعنى بدراسة ما هو موجود على مستوى المكوّن التداولي، أي معالجة معنى الملفوظات في سياقها.¹ وتأتي أهمية التداولية في أن معظم النظريات التي تندرج ضمنها تسعى كلها إلى البحث عن العلاقة التواصلية التي تتحكم بين المتكلم والمتلقي وبينهما، والسياق الكلامي الذي تتم فيه عملية التواصل، خاصة إذا ما عرفنا أن السياق هو هذا الكل المتداخل من العوامل النفسية، الثقافية، الاجتماعية، التاريخية، السياسية، الدينية وغيرها من العناصر التي تحيط بقطبي العملية التواصلية.

لهذا نجد التداولية كمنهج يهتم بمختلف الأسئلة الهامة في أي نص أدبي خاصة من جانبه السياقي والتي تتمثل في:

- من هو المتكلم ومع من في النص؟
- من هو المتلقي في النص؟
- ما هو زمان النص؟
- ما هو مكان النص؟
- ما هو موضوع النص؟
- ما هو مصدر التشويش والإيضاح، وكيف نتحدث بشيء ونفهم شيئا في حين نريد قول شيء آخر؟
- ما هي القوى الحجاجية التي يعتمد عليها المتحدث من أجل إقناع متلقيه؟

1- Voir : Maingueneau.D, Les termes clés de l'analyse du discours, p 65.

إن هذه الأسئلة وغيرها التي تسعى التداولية للإجابة عنها، جعلت "أوركويوني" تقرّ أنّ الوظيفة الأساسية التداولية تكمن في: >> استخلاص العمليات التي تمكن الكلام من التجدرّ في إطاره الذي يشكّل الثلاثية الآتية: المرسل، المتلقي، الوضعية التبليغية، إنّ أي تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق الذي تؤوّل فيه الجملة <<¹.

أما مفهوم السياق فهو الوضعية الملموسة، والتي توضع وتنطلق من خلالها مقاصد تخص المكان، الزمان وهوية المتكلمين... الخ، فكل ما نحن في حاجة إليه من أجل فهم دلالة ما يقال، ومن خلال هذا تظهر أهمية السياق، الذي يؤدي عدم حضوره في عملية نقل المقاصد، إلى عدم وضوحها وظهور إبهامات كثيرة فيها.

ومفهوم الإيجاز، معناه: >> إنجاز الفعل في السياق، إما بمحاثة لقدرات المتكلمين (أي معرفتهم وإلمامهم بالتواعد)، وإما بتوجب إدماج التمرس اللساني بمفهوم أكثر تفهما كالقدرة التواصلية <<²، ويرتبط هذا المفهوم أكثر بالأفعال الكلامية، حيث يعتبر هدفها الأول هو إحداث وتحقيق وضع جديد بأفكار جديدة عوض أن يكون هدفها هو الوصف والملاحظة للأشياء فقط.

لقد لاحظنا فيما سبق أن التداولية تولي أهمية كبيرة لعنصر السياق، حتى أنه أضحى من بين أهم المفاهيم الأساسية التي تعتمد عليها في مختلف تحليلاتها للنصوص، حتى أنها عادة ما تسعى إلى ضبط العملية التلفظية من حيث هي فعل تواصلية يتحقق في موقف سياقي وفي فضاء ثقافي اجتماعي، هذه التي تشكل محيط النص بشكله الواسع، لهذا نجد أن السياق يعتبر أداة إجرائية فاعلة وأساسية في التحليل، حتى أضحت الخطابات الأكثر قبولا للفهم والتأويل، هي مجموع الخطابات القابلة بأن توضع في سياقاتها العامة.

وبحكم إقرارنا بمصطلح "السياق" كأداة إجرائية ناجحة، بكل المستويات الدلالية والتداولية في تحليل النصوص والوصول إلى محاصرة معناها من كل جانب، بحيث يمكن بذلك المتلقي من فك

1 - C.K, Orececheiceni , Enonciation de la subjectivité dans la langage, Armand Collin Paris 1980, p185.

2- ينظر: فرانسوا أرمينكو، المقاربة التداولية، سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ص9

مختلف الرموز الموجودة في هذه النصوص، ارتأينا في هذا الفصل أن نستخرج من نص "كليلة ودمنة" نوعا من المؤشرات السياقية الكفيلة بفك الشيفرة التي بنى عليها "ابن المقفع" نصه هذا خاصة أنه غني بأنواع القواعد التي تبني عليها التداولية أساسها.

المبحث الأول : عنوان "كليلة ودمنة" الدلالة والرمز.

يعتبر العنوان بمثابة البوابة الرئيسية لاقتحام مكونات النصوص أنماطها حيث يشكل المفتاح الرئيسي للدارس الذي يسعى إلى استكناه واكتشاف وتفسير عوالم النصوص الأدبية، وبهذا فإن أهمية العنوان تنبثق من كونه مكونا نصيا لا يقل أهمية عن المكونات النصية الأخرى، حيث يمتلك سلطة معينة في النصوص ويشكل واجهتها الخارجية، لهذا وفي الغالب لا نجد أي غنى لأي نص عن عنوان يميزه ويؤطره، حيث يصبح كالدال (العنوان) على مدلوله (النص)، حقيقيا كان أم تخيلا إذ >> أن الإيحاء الدلالي الذي ينطوي عليه العنوان يعبر عن معنى تأطيري يشير من بعيد - أو من قريب - إلى الكون التخيلي للقصة <<¹.

كما يعتبر العنوان أيضا بمثابة الدافع الأول لعملية القراءة، >> وهو الشرك الذي ينصب لاقتناص المتلقي <<² ومن ثم فإنه يحظى بأهمية باعتباره الانطلاقة الأولى في التعامل مع النص في بعده الدلالي والرمزي، إذ أنه لا يمكن لأي متلق أن يلح عوالم النص، واستكشاف بنياته التركيبية والدلالية، والوقوف على مقاصدها التداولية، دون الانطلاق من المفتاح الأول لهذا الولوج ألا وهو "العنوان"، لهذا شبه "جاك دريدا": >> بالثريا التي تحتل بعدا مكانيا مرتفعا يمتزج لديه بمركزية الإشعاع على النص <<³.

وإذا كان العنوان بكل هذه الأهمية، التي تعتبره ضرورة لا مفر منها، تساعد المتلقي على فهم النصوص، فهذا ما جعله موضوع دراسات مختلفة، ابتداء من النقاد العرب القدامى، الذين أدركوا

1- سلمان كاصد، عالم النص (دراسة بنيوية في الأساليب السردية)، دار الكندي، الأردن 2003، ص15.

2- حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية وإشكاليات التلقي (اللسانيات التمهيدية نموذجًا)، دمشق 2006، من موقع <http://members.lycos.fr/abedjabri/M58-09hafidi.htm>

3- سلمان كاصد، عالم النص، المرجع السابق، ص15.

مسبقاً أن العنوان لازمة نصية، فساروا يبحثون في وظائفه ودلالته، وعلاقته التكاملية الترابطية مع النصوص، "كأبي القاسم الكلامي" مثلاً الذي ضمّن فصلاً خاصاً "بالعنوان" في كتابه "إحكام صنعة الكلام"¹ حيث بحث في مختلف المعاني اللغوية للفظ "عنوان"، وفي أهميته وقيّمته الأدبية والفنية في إقامة النص، ومن هنا يتّضح لنا إدراك العرب لأهمية العنوان، الذي يعتبر قيمة لفظية دالة تؤدي وظيفة إشارية تميز النصوص بعضها عن بعض، حتى أن بعض المعاجم العربية تشير إلى أن كلمة "عنوان" تعني التعيين كالاسم للشيء، ف"ابن منظور" مثلاً في "لسان العرب" يعرفه في مادة "عَنَّ" أنه >> عَنَّ الكتاب يعنّه عَنّا، وعننه، كعنوانه وعنوانته وعلونته بمعنى واحد، مشتق من المعنى وقال اللحياني: عننت الكتاب تعنيا وعنيته تعنية إذا عنونته أبدلوا من إحدى النونات باء، وسمي عنواناً لأنه يعنّ الكتاب من ناحيته، واصله عنان، فلما كثرت النونات قُلبت إحداها واوا، ومن قال علوان الكتاب جعل النون لاما لأنه أخف وأظهر من النون <<².

فمعنى كلمة "عنوان" عند "ابن منظور" تسمية الكتاب، باسم يميّزه عن باقي الكتب الأخرى أي إعطائه سيمية علامية تجعله متميزاً.

أما العنوان في الدراسات السيميائية، فإنه يعد بمثابة علامة أو مؤشر يحمل في طياته دلالات معينة تساعد القارئ على فك رموز النص و تأويل مضمونه، و قد جاءت نظرة السيميائيّات هذه للعنوان، انطلاقاً من تعريفهم للنص الأدبي على أنه علامة دالة .

المطلب الأول: العنوان الرئيسي:

إن لعنوان مدونتنا "كليلة ودمنة" معنى دلالي، له علاقة سواء من قريب أو من بعيد بالمتن خاصة إذا ما لاحظنا أن ظاهرة العنوان بارزة في البنية العامة لـ"كليلة ودمنة"، فالملاحظ أن النص العام يتصدره عنوان رئيسي هو "كليلة ودمنة".

1- ينظر: نجاة عرب الشعبة، خصائص البناء النصي في كليلة ودمنة، مجلة الموقف الأدبي (إتحاد كتاب العرب)، العدد 396، نيسان 2004، من

موقع: www.awu-dam.org

2- ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ص294.

ثم يندرج ضمن هذا العنوان، عناوين فرعية تتصدر كل باب من أبواب الكتاب، وضمن كل هذه الأبواب تندرج بدورها عناوين أمثال خاصة بها، ومن هذا المنطلق تستوقفنا إشكالية علاقة العنوان بالنص ككل، وعلاقته بالنصوص الفرعية الداخلية، كما يستوقفنا كذلك موضوع العناوين الفرعية، وهذا كله انطلاقاً من وصف عنوان "كليلة ودمنة" أنه جزء من النص وعلامة تدل عليه. لا شك أن من بين أهم الوظائف التي يقوم بها العنوان، أنه يهيئ الأرضية للمتلقى لكيفية قراءته للنص، وكيفية الوصول إلى ما يريد الكاتب أن يوصله إليه، لهذا نجد العنوان يحتل مكانة هامة في الفضاء النصي، ومن أجل هذا وذاك اختار "ابن المقفع" "كليلة ودمنة" عنواناً لكتابه هذا الذي يتضمن قصصاً خرافية متنوعة تُحكى على لسان الحيوان، والأمر الذي يمكننا الإقرار به، هو أن "ابن المقفع" لم يختار هذا العنوان هكذا عبثاً، بل من انطلاقات ذاتية مقنعة على أن هذا العنوان يمثل ما يريده تمثيلاً تاماً.

إن المتأمل في عنوان "كليلة ودمنة"، يلاحظ أنه يتركب من اسمين لشخصين معينين، يربط بينهما واو العطف، وأول ما توحى إليه القراءة الأولية لهذا العنوان، أنها قصة تدور أحداثها حول هذين البطلين المذكورين في غلاف الكتاب، ولكن أثناء الولوج لعالم متن النص نجد شيئاً مخالفاً لما توقعه القارئ قبلاً، لهذا عندما نستقرئ هذا العنوان نحويًا، نجده يتركب من جملة اسمية، ظاهرة المبتدأ ومستتره الخبر، وكأن المؤلف يقول للمتلقى لا تقف عند حد هذا العنوان، بل عليك البحث في فضاء النص بقراءتك الفاعلة لتجد بذلك الخبر المستتر.

إن بنية نص "كليلة ودمنة" بالنسبة "لابن المقفع" تشبه حبة جوز يصعب كسرها والوصول إليها، إلا بعد جهد جهيد فيقول في بداية في تقديمه للكتاب: >> من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم ما فيه ولم يعلم غرضه ظاهراً وباطناً، لم ينتفع بما يبدو له من خطه ونقشه، كما لو أنّ رجلاً قُدّم له جوز صحيح لم ينتفع به إلا أن يكسره ويستخرج ما فيه <<¹. فمن خلال نص "ابن المقفع" هذا يوحى إلى أنه مشبع بوجود علامات خطية فيه، بداية من العنوان الذي يوحى إلى علامتين مستترتين ضمن

1- عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة (باب عرض الكتاب لعبد الله بن المقفع)، المصدر السابق، ص58.

لفظتي "كليلة ودمنة" ولعل المتمعن في القراءة يجد هاتين العلامتين هما "الخير والشر"، ولعل تقديم إسم "كليلة" على إسم "دمنة"، من باب تقديم الإيجابي على السلبي، حيث أن "كليلة" تمثل الجانب الخير في باب "الأسد و الثور" في حين تمثل "دمنة" جانب الشر، و من هذا المنطلق يكون مطابقا عنوان "كليلة و دمنة" لعنوان "الخير والشر"، وبالتالي تكون اللفظتان الأخيرتان بمثابة العلامتين المستترتان ضمن العنوان البارز في غلاف الكتاب، وعلى العموم فإن إطلاق عنوان "كليلة ودمنة" على الكتاب ككل، هو من باب تسمية الجزء للدلالة على الكل .

المطلب الثاني : العناوين الفرعية:

من بين أهم الملاحظات المستخلصة في نص "كليلة ودمنة" استعمال مؤلفها أبواب فرعية داخل الكتاب، بعد العنوان الرئيسي، حيث نجده قد قسّمه إلى خمسة عشرة بابا، كل باب يتميز بعنوان مستقل عن الآخر، ومن خصوصية العنوان أنه يشكل إحدى دعائم النص ويعتبر علامة دالة عليه، لهذا نجد هذه العناوين تحدد مسبقا الموضوع الذي سوف تسير عليه فيما بعد العناوين المثل التي توظّر ضمن عناوين الأبواب، ويمكن أن يكون السبب الرئيسي الذي جعل "ابن المقفع" يستعمل تقنية العناوين الفرعية، هو جعل كل باب مستقل عن الآخر، عن طريق وضع عنوان مستقل لكل باب، ووضع عناوين أمثال مستقلة هي الأخرى، تتضمن في كل باب، كما أنّ عملية تأطير هذه العناوين تساعد المتلقّي على الانتباه لها وتذكّر ما سبقها من نصوص، هذا ما يساعده على فك رموز النص و دلالاته وإيجاءاته بشكل عام.

والعلاقة التي تتحكم بين العنوان الرئيسي وبين العناوين الفرعية، وبين هذه العناوين الأمثال هي علاقة احتواء، حيث نجد الأول يحتوي الثاني والثالث، والثاني يحتوي الثالث بدوره.

ونمثل لعلاقة الاحتواء الموجودة بين العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية بما يلي:



الحزين

المطلب الثالث: وظيفة العنوان:

لقد حدّدت وظائف العناوين بأربعة وظائف وهي: الإغراء - الإيجاء - الوصف - التعيين، إلا أننا نجد "جاكسون" قد ربط بين الوظائف التي يؤديها العنوان ووظائف اللغة، ليتبين بذلك أن للعنوان وظائف متعددة مثل: الوظيفة المرجعية (المرجع)، الوظيفة الإفهامية (المرسل إليه)، الوظيفة الشعرية (الرسالة)، وقد توسعت لدى "هنري ميتران Henri Mitterrand" لتشمل الوظيفة التعينية والوظيفة التحريضية (حث فضول المرسل إليه ومناداته)، والوظيفة الإيديولوجية¹، وإذا ما عدنا إلى عنوان "كليلة ودمنة" نجده يجسد كل هذه الوظائف بكل أبعادها.

1- الوظيفة التواصلية: والهدف من هذه الوظيفة هو شد انتباه المتلقي، وما وضع "ابن المقفّع" "كليلة ودمنة" عنوانا لكتابه إلا دليل على ذلك، حيث يسعى من خلاله إلى ربط نوع من العلاقة التواصلية بينه وبين المتلقي، وخلق نوع من التقارب الذي يحرض المتلقي على القراءة والسعي إلى تقليص المسافة بينه وبين الكتاب.

2- الوظيفة الإنفعالية التأثيرية / الإغرائية: إن الهدف الأساسي الذي يسعى من أجله "وضع العنوان"، هو جلب القارئ وإثارة انتباهه، وإغرائه بعبارات مجبوكة، توحى بالتبسيط والسهولة والغموض في نفس الوقت، ولعل "كليلة ودمنة" كعنوان حقق هذه الوظيفة، لأن المتلقي عند قراءته لهذا العنوان تثير انتباهه، ماهية الأحداث التي تدور حول هاتين الشخصيتين، هذا ما يخلق نوعا من التفاعل والانسجام بين النص والقارئ انطلاقا من العنوان.

3- الوظيفة المرجعية / الإحالية: وقد قصد "دوشيه" بهذه الوظيفة >> تعيين قدرة العنوان على إحالة القارئ إلى إقليمية محدودة تبعا لانتمائه اللغوي لها <<²، وهدفها هو تعيين موضوع الكتاب وتحديد غاياته، ولعل متلقي "كليلة ودمنة"، وللمجرد قراءته لهذا العنوان، يدرك أن الموضوع الذي هو

1- ينظر: سلمان كاسد، عالم النص، المرجع السابق، ص16.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بصدد قراءته يدور حول قصص معينة، وبهذا فإن هذا العنوان يشكل نوعاً من التعاقد بين "ابن المقفع" كمؤلف وقارئه.

وإذا ما عدنا دائماً إلى الثنائية الضدية التي استتجناها في العنوان الرئيسي نجد عنوان "كليلة ودمنة" يحيل إلى موضوعه، إحالة ضمنية، بحيث نجد كل أبواب الكتاب تقريباً تتوفر على الثنائية الضدية (الخير والشر) المحسدتين في شخصيتي "كليلة ودمنة".

4 - الوظيفة الإيديولوجية: يؤدي العنوان دوراً استراتيجياً في بناء المنظور الإيديولوجي لدى المؤلف حيث يساهم إسهاماً كبيراً في بناء منظور الكاتب وعقيدته العامة، حيث يعرف "أوسبنسكي" هذه الإيديولوجية على أنها << منظومة القيم العامة لرؤية العالم ذهنياً >>¹، ويرى بالتالي أن العنوان عنصر بنائي، ولعل عنوان كليلة ودمنة يُظهر لنا هذه الإيديولوجية التي بنى عليها "ابن المقفع" أفكاره السياسية، ف جاء العنوان تعبيراً عن الثنائية الضدية التي تحكي لنا هذه الإيديولوجية، المبنية عموماً على العلاقة القائمة بين الحاكم والمحكوم، خاصة إذا ما علمنا أن العنوان السابق لـ "كليلة ودمنة" في الكتاب الهندي هو "بنج تنترا" وقبله سمي بـ "نيتي شاستر" ومعناه "كتاب السياسة"²

وبهذا فإن العنوان هو إيجاز واختزال للنص في مبناه ومعناه، وإطناج النص ييسط على مدى نصه ما طواه العنوان فهذا يجمل ما يسعى ذلك إلى تفصيله.

المبحث الثاني: أقطاب العملية التواصلية.

المطلب الأول: المخاطب.

يعتبر المخاطب من بين أهم العناصر السياقية، التي تتشكل منها عملية إنتاج الخطاب فالمرسل هو الذي يقوم بترتيب أفكاره ورغباته في الخطاب الذي هو بصدد إنشائه، لذا لا يمكننا أن نتحدث عن أي خطاب بدون الحديث أولاً عن منتجته، الذي يعتبر بمثابة << الذات المحورية في إنتاج الخطاب لأنه هو الذي يتلفظ به، من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه

1- ينظر: سلمان كاسد، عالم النص، المرجع السابق، ص16.

2- ينظر: ابن المقفع، كليلة ودمنة، المصدر السابق، ص 18.

ويتجسد ذاته من خلال بناء خطابه، باعتماده استراتيجية خطابية تمتد من مرحلة تحليل السياق الذهني والاستعداد له <<¹.

لهذا لا نجد على الإطلاق، أي لغة طبيعية يمكنها أن تمارس نشاطها التواصلية، إلا من خلال المرسل الذي يفعلها ويحققها في الواقع، وبفضل الفعل التلفظي الذي يقوم به المخاطب، ينقل أيضا اللغة من المستوى الصوري إلى المستوى التداولي >> ويغدو الخطاب عندها مؤشرا على كفاءته بالقدرة على التكيف مع محيطه، لأن الخطاب باعتباره مقول الكاتب -أو أقاويله بتعبير الفلاسفة العرب القدماء هو بناء الأفكار... فالخطاب من هذه الزاوية إذا كان يعبر عن فكرة صاحبه فهو يعكس أيضا مدى قدراته على البناء <<².

إن للقارئ الذي يلقي بالنظرة الأولى على كتاب "كليلة ودمنة" يكتشف بأن مؤلف هذا الكتاب هو "عبد الله ابن المقفع" كما هو مبين في غلاف الكتاب، لهذا سنعتبره أحد أهم الأقطاب التواصلية في الكتاب، فهو المخاطب والمرسل لخطاب "كليلة ودمنة"، إلا أننا نجد في باب عرض الكتاب أن "ابن المقفع" يقر على أن هذا الكتاب هو >> مما وضعته علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي ألهموا أن يدخلوا فيها أبلغ ما وجدوا من القول في النحو الذي أرادوا، ولم تزل العلماء من كل أمة ولسان يلتمسون أن يعقل عنهم، ويحتالون لذلك بصنوف الحيل، ويتغنون إخراج ما عندهم من العقل وإظهار ما لديهم من العلوم والحكم، حتى كان من تلك الحيل، وضع هذا الكتاب على أفواه البهائم والطير، فاجتمع لهم بذلك خلال أما هم فوجدوا منصرفا في القول وشعابا يأخذون منها، ووجوها يسلكون فيها <<³.

فيتضح مما سبق ذكره أن المؤلفين الأصليين لكتاب "كليلة ودمنة" هم مجموعة من علماء الهند، وهذا معناه أن الكاتب لا يتوفر على مرسل أو مخاطب، بل عدة مرسلين ومخاطبين، وغير معروفين كذلك، لهذا سوف نتعامل مع النص على أساس أنه مؤلف من طرف "ابن المقفع" خاصة

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا 2004، ص 45.

2- المرجع نفسه، ص46.

3- ابن المقفع، كليلة ودمنة (باب عرض الكتاب لعبد الله بن المقفع)، المصدر السابق، ص 57.

إذا ما علمنا أنه ترجم كتاب "كليلة ودمنة" إلى اللغة العربية، وهناك من يقول على أنه أضاف بعض الأبواب الأصلية في الكتاب، كما أنه لم يعرّبه تعريباً كاملاً بآتم معنى الكلمة وإنما >> كان مقتبساً له ومتصرفاً فيه، ومضيفاً إليه أبواباً، كذلك حوّر الكثير من قصصه ليحمله مقبولاً لدى المسلمين وملائماً مناخهم العقلي <<¹.

كما أقرّ بعض النقاد أيضاً على أنّ المغزى من القصص الموجودة في كتاب "كليلة ودمنة" هو مغزى سياسي يتمثل في نقد الحكم العباسي و هو الحكم السائد في عصر "ابن المقفّع" و بناءً على هذا كان "ابن المقفّع" مترجم لخطاب "كليلة و دمنة"، فإنه وضعه حسب الساق الذي كان يقتضيه عصره، بشقيه الزماني و المكاني، بحيث يكون قد مرّن نصوص "كليلة ودمنة" لكي تكون مناسبة لما يريد هو إيصاله إلى متلقي عصره(العصر العباسي).

إنّ "ابن المقفّع" كتب اسمه في غلاف كتاب "كليلة ودمنة" كمؤلف ومترجم له، في حين لم نجد أبداً أثناء ولوجنا إلى العوالم الداخلية "لكليلة ودمنة" آية إشارة إلى أن "ابن المقفّع" هو المؤلف أي هو المرسل، حتى أنه افتتح الباب الأول (باب الأسد والثور) بقوله: >> قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف، وهو رأس البراهمة: اضرب لي مثلاً لمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء...²، فما فعله "ابن المقفّع" هنا (هو) أنه نسب خطابات "كليلة ودمنة" بكل أبوابها إلى مرسل واحد وهو "الفيلسوف بيدبا"، ولم نجد ولو ضميراً واحداً نسبه إلى نفسه، إذن السياق هنا يفرض علينا أن نقول أنّ المخاطب في "كليلة ودمنة" هو الفيلسوف، ولكن بالمقابل سوف نطرح سؤالاً واضحاً وهو أين "ابن المقفّع" من كلّ هذا؟ إذن الإشكالية المطروحة هنا تكمن في صعوبة تحديد المخاطب في خطابه "كليلة و دمنة" لهذا سوف نلجأ إلى ما طرحه علينا الباحثان "ليتس و شورت" (G.N.LEECH ET SHORT) بحيث اقترحا >> الحديث عن كاتب ضمني و قارئ ضمني (مفترض) <<³.

1- المصدر السابق، ص 10.

2 - ابن المقفّع، كليلة ودمنة (باب الأسد والثور)، المصدر السابق، ص 68

3 - محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المرجع السابق، ص 302.

المطلب الثاني : المتلقي:

يعتبر المتلقي أو المرسل إليه أو المخاطب، أحد ثاني أقطاب العملية التواصلية، فبدونه لا يمكن في حال من الأحوال أن تتم هذه العملية، بحيث تبقى بذلك الشفرات التي يستعملها المخاطب في خطابه غير واضحة المعالم، إن لم يوجد متلق معين، يفعلها ويفك رموزها، كما أنه لا بد للمرسل أن يستحضر متلقيه الضمني الذي يكون حاضرا في ذهنه عند إنتاجه للخطاب، لذا نجد استحضار المرسل إليه >> هو ما يسهم في حركية الخطاب، بل يسهم في قدرة المرسل التنويعية، ويمنحه أفقا لممارسة اختيار استراتيجية لخطابه <<¹، هذا ما يجعل مدرسة "كونستانس" الألمانية تعطي عناية كبيرة للقارئ، حتى أننا نجد "هانز روبرت ياوس" Hans robert youss أطلق مصطلحا بالقارئ بصفته طرفا مفعلا في النص أسماها "جماليات التلقي"، وتقوم هذه على عدة أسس هي:²

أ- القارئ هو المستهدف في أي عمل أدبي، حيث أنه لا قيمة لأي نص أدبي بدون قراءته.

ب- يعتبر النص الأدبي بطبيعته المجازية نصا مفتوحا يسمح بتعدد القراءات.

ج- يملك القارئ مرجعيات مختلفة تمكنه من تشكيل المعنى الأدبي للنص.

المطلب الثالث : درجات التلقي عند ابن المقفع:

وانطلاقا من هذا نجد "ابن المقفع"، قد تظن مسبقا مثل هذه الإشكالية، إشكالية تعدد المتلقين للنص الواحد، حيث يختلفون في درجة قدرات كل واحد منهم، في كيفية استيعابهم للنص الواحد، لهذا نجد كمنشئ لخطابه "كليلا ودمنة"، يفترض ثلاثة تراء أو متلقين يختلف كل واحد منهم في كيفية نظرتهم إلى طبيعة هذا النص، لهذا قسّم "ابن المقفع" متلقيه إلى ثلاث درجات: القارئ العادي (الهاوي) - القارئ العارف (المتذوق) - القارئ النافذ (النموذجي).

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب، المرجع السابق، ص48.

2- ينظر: إبراهيم خليل، في النقد والنقد الألسني، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان 2002، ص109.

1- القارئ العادي (الهاوي):

وهو الذي لا يقدّم إضافة للنص، وهذا ما يسمى بالقارئ السلبي يقول "ابن المقفّع" >> وينبغي للناظر في هذا الكتاب أن يعلم أنه ينقسم إلى أربعة أغراض: أحدهما ما قصد فيه إلى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة، من مسارعة أهل الهزل والشبان على قراءته فتستمال به قلوبهم، لأن هذا هو العرض بالنوادر من حيل الحيوانات <<¹.

2- القارئ العارف (المتذوق) أو المهتم:

وهو القارئ الذي باستطاعته بما أوتي من خبرة، أن يعيد إنتاج النص الأدبي بنفسه، ولعل القارئ العارف المقصود عند "ابن المقفّع" هو الحاكم أو السلطان فيقول في سياق حديثه عن المتلقين المخدّدين سلفا من جانبه والذين وجه إليهم هذا الكتاب: >>... والثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان، ليكون أنسا لقلوب الملوك، ويكون حرصهم عليه أشدّ للنزهة في تلك الصور، والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتّخذها الملوك والسوقة، فيكثر بذلك اتساعه ولا يبطل فيخلف على مرور الأيام، ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبدا <<².

3- القارئ الناقد (النموذجي):

يطلق عليه "أمبرتو إيكو" تسمية القارئ أو المتلقي النموذجي (Le lecteur modèle) ولعل هذا المتلقي هو الغاية الكبرى "لابن المقفّع"، حيث يقول: >> والغرض الرابع وهو الأقصى مخصوص بالفيلسوف خاصة <<. وهو المتلقي الذي لا يستطيع إنتاج في نفسه فقط، بل على الورق أيضا، بمعنى أنه يحتوي على قدرات تمكنه من إعادة صياغة النص من جديد وبشكل جديد أيضا، ويسمي أقطاب مدرسة "كونستانس" هذه القراءة "بالقراءة المنتجة"³.

1- ابن المقفّع، كلية و دمنة(باب عرض الكتاب لعبد الله بن المقفّع)، المصدر السابق،ص67.

2- المصدر نفسه، ص ن.

3- ينظر: إبراهيم خليل، في النقد والنقد الألسني، المرجع السابق،ص109.

المبحث الثالث: دراسة الزمان والمكان .

تعتبر مقولتا الزمان والمكان، من بين أهم العناصر التي يتكون منها السياق، حيث لا يمكننا أن نفهم أي خطاب كان بين مرسل ومرسل إليه معينين، إلا بالعودة دائما إلى ظروف إنتاجه والتي نعني بها الظروف الزمانية والمكانية.

المطلب الأول: دراسة الزمان :

فمقولة الزمان، تعني توقع أحداث معينة في خط زمني معين، لهذا نعتبر دائما لحظة التلفظ هي المرجع الأساسي لفهم النصوص بكل أنواعها، حيث كان لزاما علينا >> أن نربط الزمن بالفعل ربطا قويا في مرحلة أولى، ونربط كذلك بين الزمن والفاعل، لأهميته الكبرى في مرحلة ثانية <<¹. وبهذا فإن الحديث عن العلاقة المرجعية بين المرسل والسياق الذي يدور فيه الخطاب هو تحديد الزمان والمكان، حيث يكون مفروضا على المرسل إليه أن يدرك لحظة التلقي، لكي تتم عملية تأويل النصوص بشكل صحيح.

لقد عالج "إميل بنفنيست" "E. Benveniste"، مقولة الزمن في كتابه "قضايا اللسانيات العامة"، حيث أفضت دراسته هذه إلى تقسيم الزمن إلى ثلاثة أقسام: الزمن الفيزيائي للعالم - الزمن الحداثي - الزمن اللساني.²

1- الزمن الفيزيائي للعالم: يقصد به الزمن الطبيعي، وهو خطي لا متناه، يمكن للإنسان أن يحس به ويدركه في حياته اليومية، ويمكنه أيضا أن يقيسه حسب هواه وأحاسيسه وإيقاع حياته، وهذا لاعتبار نوع هذا الزمن مدة متغيرة.

2- الزمن الحداثي Temps chronique : وهو الزمن التاريخي، وزمن الأحداث من بدايتها إلى نهايتها، ويمكن للإنسان أن يدرك هذا النوع من الزمن، عن طريق الذاكرة، كما يمكنه أن

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب، المرجع السابق، ص83.

2- Voir : E. Benveniste, problèmes de linguistique générale, T2 Galiimard, Paris 1974, P70.

يعود دائما إلى هذا الزمن باعتباره مرجعا، نظرا لأهميته التاريخية حيث تعتبر "أوريكيوني" الزمن على أنه << حصر حدث ما في محور الأزمنة بالنسبة لوقت معتمد كمرجع >>¹.

3- الزمن اللساني Temps linguistique : وهو الزمن اللغوي، أو زمن الحديث كما يسميه "بنفنيست"، حيث يقول: << بواسطة اللغة تتجلى التجربة الإنسانية للزمن، والزمن اللساني كما يبدو لنا، لا يمكن اختزاله في الزمن الحدتي أو الفيزيائي >>². فالزمن اللغوي يرتبط بلحظة الكلام أو الحديث والذي يمثله الزمن الحاضر، أما زمنا الماضي والمستقبل فهما مرتبطان به. لعل دراستنا لعنصر الزمن في كتاب "كليلة و دمنة"، يتّضح من خلال دراستنا للزمن الخارجي أو الداخلي أو الخارج نصي، الذي يضمّ زمن الكتابة أو زمن تأليف "ابن المقفّع" لمؤلفه هذا و الزمن الداخلي الذي وظّفه كذلك في هذا الكتاب .

إنّ الزمن الذي كتب فيه "كليلة و دمنة" هو زمن غير محدد تاريخيا، لهذا يصعب علينا تحديده تحديدا دقيقا، و هذا راجع إلى صعوبة تحديد المؤلف الأول لهذا الكتاب إذا كان "ابن المقفّع" مترجما و قد ذهب كثير من الباحثين إلى أنّ القصص الموجودة في الكتاب ليست من أصل واحد، و لا لمؤلف واحد، و سبق لـ"ابن المقفّع" أن ذكر في البداية تقديمه للكتاب على أنّه كتاب لمجموعة من العلماء إذ يقول: << هذا كتاب كليلة و دمنة و هو ما وضعه علماء الهند من الأمثال و الأحاديث >>³، فكلمة العلماء بالجمع تدل على كثرة المؤلفين، مما يدفعنا للقول بتعدد الأزمنة ربما كلُّ عالم كتب شيئا ما في الكتاب في الزمن الذي كان يعيش فيه، خاصة أنّ القصص الموجودة فيه هي قصص جمعها هؤلاء العلماء لمختلف الأغراض .

هذا من جهة، و من جهة أخرى و إذا سلمنا بمقولة أنّ "ابن المقفّع" هو واضع كتاب "كليلة و دمنة" استنادا إلى مقولة "الجاحظ" التي أوردها "حنّا الفاخوري" في كتابه "تاريخ الأدب العربي": << و نحن لا نستطيع أن نعلم أنّ الرسائل التي في أيدي الناس للفرس، أنّها صحيحة غير

1- C.K, Orececheiceni , l'énonciation de la subjectivité dans la langage, , P45

2- ينظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، (الزمن، السرد، التبئير)، ط4، المركز الثقافي العربي المغرب 2005، ص65.

2- ابن المقفّع، كليلة و دمنة، المصدر السابق، ص57.

موضوعة و قديمة غير مولّدة، إذا كان مثل "ابن المقفّع" و "سهل ابن هارون" و "أبي عبيد الله" و "عبد الحميد"... لا يستطيعون أن يولّدوا مثل تلك الرسائل و يصفوا مثل تلك السير <<¹.
 فالملاحظ من السياق الكلام أنّ "الجاحظ" نفسه كان يشكّ في صحة أنّ "ابن المقفّع" ترجم الكتاب، بل و في أنّه هو المؤلّف الحقيقي له، و إذا كان يدّعي الترجمة فإنّ ذلك سببه خوفه من الحكّام و السلاطين لتبعه ما ورد ذكره في كتابه، إلاّ أنّ هذا الأمر لم يتم فيه إلى يومنا هذا.
 وعليه فإذا سلّمنا على أنّ "ابن المقفّع" هو مؤلّف الكتاب، و أنّه كان مترجماً له، فإنه غير بعض الشيء فيه، و لم يقم بوضعه عبثاً، بل كانت هناك مقاصد مختلفة لوضعه لهذا الكتاب و إن كانت هذه المقاصد فلا بدّ أنّها مستقاة من سياق الفترة الزمنية التي كان يعيش فيها، لهذا كان بإمكاننا أن نقول على أنّ الزمن التاريخي للكتاب، هو بدون شك مرتبط بزمن المؤلّف "ابن المقفّع" و بهذا فإنّنا نقول أنّ الزمن المرجعي لـ "كليلة و دمنة" يعود إلى العصر العباسي الذي عاش فيه "ابن المقفّع" أي النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة (106هـ-143هـ) و هي نفس الحقبة التي عاش فيها المؤلّف.

هذا العصر الذي كان يتميز بالظلم و الاستبداد فجاء "كليلة و دمنة" متزامناً مع هذه الفترة الزمنية و التاريخية، واعظاً الحكّام و الملوك على الانزلاقات الخطيرة التي وقعت بينه، حتى شارفت وحدة الأمة على الانهيار، و بهذا أيضاً جاء هذا النص على شكله المقنع هذا. هذا فيما يخص الزمن الخارجي المرتبط بالمؤلّف "ابن المقفّع"، و إذا ما عدنا إلى الفقرة التي تتحدث في الكتاب عن السبب الذي وضع من أجله، نجد الفترة الزمنية التي عاش فيها "الإسكندر ذو القرنين" و هي الفترة التي عاش فيها الملك "دبشليم" و الفيلسوف البرهمي "بيدبا" و بالتالي هي الفترة الزمنية التي كتب فيها كتاب "كليلة و دمنة" بحكم أنّ الملك "دبشليم" هو الذي طلب من الفيلسوف "بيدبا" أن ينشئ له هذا الكتاب.

1- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص446.

أمّا فيما يخص الزمن الداخلي و إذا ما راعينا مبهمات الزمان فإننا نكاد نجزم بعدم وجود مثل هذه المبهمات الزمنية التي استعملها "ابن المقفّع" في الكتاب، لأنّ السياق في خطاب "كليّة ودمنة" أوجد لنا نوعاً من الغموض في كيفية تحديد الزمان فيه، و هذا راجع ربما لنموذجية حياته بحيث يعرضها علينا "ابن المقفّع" بصفتها حوادث تؤخذ منها العبرة و من أحوال شخصيتها و تصرفاتهم، كما تستنبط الحكمة من نتائج أحداثها التي وظّفها "ابن المقفّع" في الأمثال و النموذجية تعبّر عن أحداث لم تقع في زمن محدد بعينه، بل يمكن أن تحدث في زمن الماضي، و في الحاضر أو في المستقبل، بمعنى أنّها صالحة الحدوث في كل زمن.

و الملاحظ كذلك أنّ "ابن المقفّع" ابتداءً تقريباً كل حكايات "كليّة و دمنة" بصيغ "زعموا" (و هو فعل ماضي مسند إلى فاعل مجهول)، و هذا سواء الحكايات الإطار أو الحكايات المؤطرة (زعموا أنّ غراباً - زعموا أنّ علجوماً - زعموا أنّ أسد - زعموا أنّ قملة... الخ)، و هذا يدل على احتمال الأحداث المذكورة للصدق و الكذب و بالتالي فالزمن الذي حدثت فيه يكون موجوداً أو غير موجود، أمّا الأحداث التي صاغها "ابن المقفّع" فكلّها صيغت في الزمن الماضي، إلّا أنّ صفة المثل فيها يجعلها ممكنة الحدوث في أي زمان أو أي مكان.

المطلب الثاني : دراسة المكان :

أمّا فيما يخص المكان فإنّ مشابهة حكاية "كليّة و دمنة" للعمل المسرحي نوعاً ما يجعلها تتوفر على واحد من عناصره ألا و هو المكان، حيث لا يكاد يبدأ المؤلف في سرد أي حكاية إلّا بوصف المكان الذي يجري فيه أحداثها، إلّا أنّ هذا الوصف لهذا المكان يتراوح ما بين الدقة، حيث يذكر لنا في بعض الأحيان أسماء لبعض المدن ممكنة الوجود و ما بين الشمول فيكون وصفه للمكان عامراً و عامّاً.

إنّ المكان الأصلي الذي أنجزت فيه قصص "كليّة و دمنة" إذا ما اعتبرناها من أصل هندي فهو "الهند" و أمّا اعتبار أنّ المترجم أو المؤلف لهذه القصص هو "ابن المقفّع" فهذا يجعلنا نقول أنّ

مكانها هو "العراق" (البصرة)، باعتبار الفترة الزمنية التي عاشها "ابن المقفّع" في هذه البقاع، و باعتبار أنّ ترجمتها تمت في هذا المكان كذلك و هي موجهة أصلاً إلى فئة الحكّام و الملوك المتسلّطين و المتجبرّين المنتشرين في العصر العباسي و هو عصر "ابن المقفّع"، هذا فيما يخص الفضاء الخارجي لحكايات "كليلة و دمنة".

أمّا بالنسبة للفضاء الداخلي، فإنّنا نجد المكان في قصص "كليلة و دمنة" في تشكّل و تنوع مستمرين بحيث نجد في بعض الأحيان تحديداً دقيقاً نسبياً للأمكنة، و في الأحيان الأخرى نجد اللاتّحديد لبعض من الأمكنة الأخرى مما ينتج لنا بعض الغموض بالنسبة لمختلف الفضاءات التي جرت فيها أحداث هذه القصص، فمثلاً يقول: >> كان مثله كالرجل الذي زعموا أنّ سارقاً تسور عليه و هو نائم في منزله <<¹.

نلاحظ أنّ كلمة (منزله) لا تكفي كمحدد إشاري مكاني، يمكن للقارئ التحديد الواضح للمكان الذي تجرى فيه أحداث هذه القصة. كذلك في قوله: >> يقال إنّه كان رجل تاجر و كان له شريك، و استأجرا حانوتا، و جعلتا متاعهما فيه، و كان أحدهما قريب المنزل من الحانوت... <<²، فرغم أنّ "ابن المقفّع" ذكر أنّ الحانوت هو مكان الأحداث و ذكر قرب منزل أحدهما من الحانوت إلا أنّ هذا لم يجعل القصة واضحة ملامح المكان، حيث يبقى المنزل و الحانوت من الأماكن الغامضة المعالم.

و هكذا بالنسبة لباقي قصص "كليلة و دمنة" التي تتميز بنسبية كبيرة في تحديد الأماكن حيث تتراوح أحداث هذه القصص في أمّا حدثت في (بعض الخلج- أو في مفازة فيها خوف من السباع- أو في أجمة أو في وكر في شجرة على جبل أو في أرض كثيرة المياه و العشب أو في غدير أو في ساحل بحر أو بعض مدن أو في مدينة- أو في أرض من أرض الفيلة- أو فيبيت أو في جحر لسنور أو في جحر لجرذ أو في رأس نخلة طويلة...).

1- ابن المقفّع، كليلة و دمنة، المصدر السابق، ص59.

2- المصدر نفسه، ص64.

و الملاحظ أنّ هذه الأماكن توصف بعموميتها و عدم الدقة، حيث اكتفى "ابن المقفع" بالإشارة العابرة إليها، كما نلاحظ أنّ أغلبية الأماكن المذكورة في الحكايات خاصة بالأماكن التي تتواجد فيها مختلف الحيوانات كالوكر و الأجمة و المحجر و الغابة و الشجر، و هذا راجع إلى أنّ الشخص الموظف في الحكايات عبارة عن حيوانات من مختلف الأصناف.

و من جهة أخرى نجد "ابن المقفع" في بعض الأحيان يذكر لنا أسماء الأماكن التي وقعت فيها الأحداث، مثل: << كان بأرض دستاوند رجل >>¹.
<< زعموا أنّ ناسكا من النساك كان بأرض جرجان >>².

و هذه الأماكن المذكورة تبقى غامضة الملامح حيث لم يقم "ابن المقفع" بتحديد مواقعها رغم أنّ أسماءها توحى بأنّها أسماء فارسية هندية، ما يرجح إمكانية وجودها في هذه المنطقة. و يبقى أمر غياب الأشياء و الأماكن المشار إليها في نصوص "كليلة و دمنة" و عدم التحديد الدقيق للأماكن يؤكّد صفة الإبهامية لهذه العناصر و لعلّ الأمر يعود إلى نسبة تحديد الزمان الذي تؤكّده لفظة "زعموا" التي ابتدأت بها تقريبا كلّ حكايات "كليلة و دمنة"، هذا الذي يجعل من العنصر المكاني كذلك نسبيا، أضف إلى ذلك الوصف السريع لهذه الأماكن و الأحداث الذي قد يعود لعنصر المثل المستهدف من "ابن المقفع".

1- ابن المقفع، كليلة و دمنة (باب الأسد و الثور)، المصدر السابق، ص 68.

2- المصدر نفسه، (باب الناسك و ابن عرس)، ص 168.

ومن خلال ما مرّ علينا في هذا الفصل انطلاقاً من تحليلنا للعنوان كعتبة أولى اقتحمنا من خلاله عوالم النص الذي يفرضه السياق ومن تحليلنا كذلك لوضعية المشاركين في خطاب "كليلة ودمنة" فـ"ابن المقفّع" كمرسل ضمني ومتلقي العصر العباسي كمتلقي ضمني وضع درجاته وصفاته "ابن المقفّع" سلفاً ثم "دبشليم" الملك كمتلق مباشر والفيلسوف "بيدبا" كمرسل مباشر، وصولاً إلى دراسة الزمان والمكان، هاته الأقطاب التي مكنتنا من وضع خطاب "كليلة ودمنة" في إطاره السياقي العام.

فإن كل هذا مكنا في الفصل الأول من وضع عناصر السياق الخارجي المتمثلة في المخاطب والمتلقي والزمان والمكان الذي أنشأ فيه خطابات "كليلة ودمنة" والسياق الآن يفرض علينا أن نبين الاستراتيجيات العامة التي تتحكم في العلاقة الموجودة بين المشاركين والمخاطبين في نصوص "كليلة ودمنة"، سواء بين "ابن المقفّع" كمخاطب ضمني في متلقيه الضمنيين كذلك، أو بين الفيلسوف كمشارك ظاهر مع الملك كمشارك آخر ظاهر، بما أن السياق هو دليل المرسل في اختيار استراتيجيته الخطابية.

وإذا تناولنا في الفصل الأول، السياق الخارجي العام، الذي أنشأ فيه خطابات "كليلة ودمنة" فحري بنا أن نتطرق في الفصل الموالي إلى دراسة السياق من خلال القوانين العامة التي تتحكم في العلاقات التخاطبية بين المشاركين والعملية التواصلية كيف تمت.

الفصل الثاني

العملية التواصلية

واستراتيجية التحاور

- المبحث الأول: سياق الاستراتيجية التلميحية
- المبحث الثاني: بلاغة الإقناع والإمتاع
- المبحث الثالث: نمط الاستدلال عند ابن المقفع

تمهيد:

تعرضنا في الفصل الأول لدراسة السياق من الخارج، بحيث أدرجنا ضمن هذه الدراسة تحليلاً للعنوان كعتبة سياقية، ثم درسنا المتخاطبين وما يدور حولهما من سياق زمكاني، وفي هذا الفصل الثاني، سيكون حري بنا أن نتعرض للسياق من اتجاه آخر وهو الاتجاه الداخلي، الذي يتمظهر من خلال الاستراتيجيات الخطابية المختلفة التي اعتمدها "ابن المقفع" في نصوص "كليلة ودمنة".

فعادة ما يختار المرسل الاستراتيجيات والآليات التي يوظفها في خطابه، انطلاقاً من معايير مختلفة تتحكم في هذه العملية، ولعل أولى هذه المعايير هي مراعاة المرسل أو المخاطب لمعالم السياق حيث لا يمكنه إنتاج خطاب معين إلا بمراعاة المعايير التي تتوفر عليها السياق، وهي العناصر القياسية التواصلية التي تتوفر بين المرسل والمتلقي، وبينهما وبين الظروف المحيطة بالخطاب.

وعليه فإن افتراض المرسل دائماً لمتلقيه، ووضعه نصب عينيه، أوجب عليه أن ينظم خطابه وفق ما يقتضيه المرسل إليه، وهذا تفرضه عليه العملية التواصلية التفاعلية بينهما، ومنه فإن <<كل عمل من التواصل الكلامي يراعي متكلماً يرسل خطاباً أو رسالة في اتجاه مخاطب أو متلق، قد يكون حاضراً، وقد يكون غائباً >>¹.

إن علاقة المرسل بالمرسل إليه تجعل الأول ينظم خطابه، وفق آليات يستعملها فيه، فهذه العلاقة هي التي تلزم عليه أن يستعمل آلية الحجاج، أو الحوار، أو الاستدلال في خطابه وهي التي تفرض عليه الاختيار ما بين استعمال الشكل المباشر في خطابه، أو يلجأ إلى التلميح وبهذا فإنه من البديهي أن نستنتج أنواعاً من المسلمات البديهية التي يفرضها السياق في الخطاب من مثل:

- مسلمة الحوارية، التي تقرّ على أنه لا وجود لكلام مفيد إلا بين اثنين، لكل منهما مقام معين، مقام المتحدث ومقام المستمع.
- المسلمة التي تقول إن علامة الخطاب الرئيسية هي اللغة الطبيعية.
- إن إنتاج الخطاب يكون بقصد ما، ولههدف معين يسعى المرسل إلى تحقيقه.

1- عبد الجليل مرتاض ، اللغة والتواصل (اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي والكتابي)، دار هومة، الجزائر 2003، ص 41.

- إن الدلالة المباشرة هي دلالة الخطاب الرئيسية على قصد المرسل.

وبهذا فإنه بإمكان المرسل الاعتماد على استراتيجيات مختلفة و متنوعة في خطابه، إلا أن القيد الوحيد الذي يراعيه هو السياق بكل عناصره.¹

المبحث الأول : سياق الاستراتيجية التلميحية .

لقد اعتمد "ابن المقفع" على استراتيجية غير مباشرة، في كيفية تعبيره عن مقاصده، وذلك حسب ما اقتضاه السياق الذي أنشأت فيه خطابات "كليلة ودمنة"، ويمكن أن نطلق على هذه الاستراتيجية اسم "الاستراتيجية التلميحية"، وتتمظهر هذه الاستراتيجية في ما سماه "جرايس Grice"² "بمبادئ المحادثة" "principes conversationnels"، أو ما أسماه "دوكرو Ducrot" بـ"قوانين الخطاب" "lois du discours" وهي قوانين توجه العملية التواصلية بين الأشخاص، عن طريق تحديدها للأدوار التي يحتلها كل واحد من هؤلاء، كما تساهم في إبراز البعد التبادلي الحوارى للخطاب، لهذا عرّفها "مانقونو Maingueneau" على أنها >> القواعد التي تتغير بتغير الثقافات، والتي يفرض كل مشارك أن الآخر يحترمها عندما يلعبون لعبة "التبادل اللغوي" "l'échange verbal" <<³.

وعليه فالاستراتيجية التلميحية البارزة في قصص "كليلة ودمنة" والتي اعتمدها "ابن المقفع" للتعبير عن مقاصده، هي عبارة عن آليات تساعد المخاطب على أن ينجز بها أكثر مما يقوله إذ يتجاوز قصده المعنى الحرفي لخطابه، وذلك بالارتكاز على أنواع السياقات المختلفة.

1- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، المرجع السابق، ص87.

2 - Voir : catherine Kerbrat orecchioni , L'implicite (linguistique), Armand colin, Paris 1986P194.

3- Maingueneau.D, les termes clés de l'analyse du discours, P54.

المطلب الأول: سياق المشاركة (cooperation).

يتمظهر سياق المشاركة (التعاون) في قصص "كليلة ودمنة" في كيفية صياغة "ابن المقفع" لهذه الحكايات، بحيث أنه أقرّ مسبقاً بسياق المشاركة، إذ وضع سلفاً أنواع المتلقين الذين وجهت لهم هذه القصص - كما أشرنا إلى هذا مسبقاً في الفصل الأول في عنصر درجات التلقي عند "ابن المقفع" هؤلاء المتلقون الذين أرادهم "ابن المقفع" مشاركته خطابه هذا، بمعنى أنّ هذا الإقرار المسبق هو إقرار ضمني بمبدأ المشاركة، "فابن المقفع" كمخاطب يشارك مخاطبة الأول وهو المتلقي غير العارف، عن طريق السياق العام الذي صيغت فيه هذه الحكايات، حيث جاءت على لسان الحيوان ليطلبها هذا النوع من المتلقين بهدف اللهو والمتعة.

وبهذا يضمن "ابن المقفع" فائدة خطابه، كما يضمن استمرار العملية التواصلية، بينه وبين هذه الفئة من المتلقين، ثم إن المشاركة التي أرادها لم تقف في هذا الحد، بل اشترط نوعاً آخر من المتلقين، ألا وهم الحكام والملوك وذوي السلطة بشكل عام، فأراد أن تكون قصص "كليلة ودمنة" محمّلة بالنصائح والإرشادات العامة التي يستفيد منها هؤلاء، لاتخاذها كقواعد وأسس يبنون عليها مناهجهم في الحكم والسلطة، وأخيراً وضع "ابن المقفع" نصب عينيه متلقي مشارك من الدرجة الكبيرة، ألا وهو الفيلسوف الذي بإمكانه الوصول إلى توضيح معاني الحكم و الأمثال التي تزخر بها قصص "كليلة ودمنة".

إنّ مبدأ المشاركة الذي أراد "ابن المقفع" أن يكون ضمناً بتحديد أنواع المتلقين، نجده كذلك ضمناً في السياق الحوارية الذي جمع بين الملك "دبشليم" والفيلسوف "بيدبا"، وربما هذا ينصب في نوع من الإسقاط، بحيث أسقط "ابن المقفع" نوع المشاركة التي يريدتها مع متلقيه الخارجي بوضعه للحوار الذي صاغه بين الشخصيات الموظفة في قصص "كليلة ودمنة"، خاصة الحوار الإطار الذي جمع بين الفيلسوف والحاكم، وعلى هذا الأساس فسياق المشاركة يظهر على مستوى التبادل الكلامي بين هاتين الشخصيتين، حيث يتبادلان المحادثة ويتناوبان في الحوار، وهذا دليل على تفعيل عملية التواصل بينهما، حيث يقوم الحاكم "دبشليم" بسؤال الفيلسوف "بيدبا" عن

أشياء تخص الملك ورعيته والحاشية التي تحيط به، وكل ما يجري في البلاط، فيقوم الفيلسوف بدوره بالإجابة على هذه الأسئلة، وذلك بسرده لقصص خرافية، يلجأ من خلالها إلى التلميح أكثر من التصريح حسب ما يقتضيه السياق، وذلك بتوظيفه الكبير لعنصر المثل.

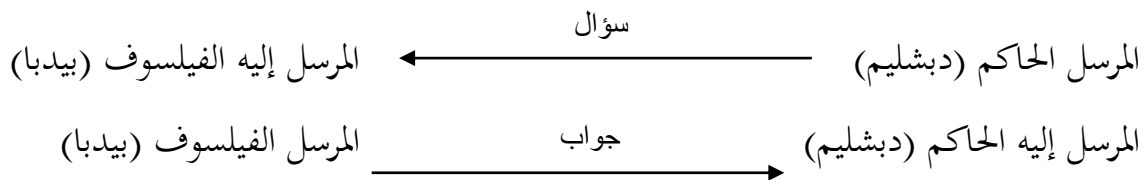
يتمظهر سياق المشاركة في قصص "كليلة ودمنة"، أكثر في التقنية الواضحة، التي اعتمد عليها "ابن المقفع"، ألا وهي تقنية سؤال جواب، التي فعلت العملية التحوارية بين الفيلسوف والملك وبالتالي فعلت بدورها عملية المشاركة بين "ابن المقفع وملتقىه".

المطلب الثاني: سياق السؤال والجواب.

تكمن أهمية السؤال في الخطابات، في خمس نقاط أساسية وهي:¹

- 1- إما لتنبه السامع على موقعه.
- 2- أو لإغناؤه أن يسأل.
- 3- أو لئلا يسمع منه شيء.
- 4- أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه.
- 5- أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ.

ويمكننا وضع مخطط لهذه العملية كما يلي:



1- محمد خطاي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المرجع السابق، ص 115.

وبهذه العملية يكون قد تحقق ما أسماه "إميل بنفنيست" بالجهاز الصوري لعملية التلطف حيث تحققت العملية التفاعلية التواصلية بين المرسل والمرسل إليه، وذلك طريق التناوب الذي >> يعد أساسيا للمحادثات بوصفه إنتاجا لعمليات موسّعة تفاعليا <<¹، وهذا التناوب لا يكون إلا عن طريق الحوار الذي عرفه "ابن منظور" في مادة "حور": >> كَلَّمْتَهُ فَمَا رَجَعَ إِلَيَّ حَوَارًا وَحَوَارًا وَمَحَاوِرَةً وَحَوِيرًا، وَمَحْوَرَةً، بَضْمِ الْحَاءِ، بِوِزْنِ مَشْوَرَةٍ أَيْ جَوَابًا...وَهُمْ يَتَحَاوِرُونَ أَيْ يَتَرَاوِعُونَ، الْكَلَامَ وَالْمَحَاوِرَةَ وَمَرَاوِعَةَ الْمَنْطِقِ وَالْكَلَامَ فِي الْمَخَاطَبَةِ <<².

المطلب الثالث: سياق الإفادة والإخبارية: (Pertinence-Informative).

يتعلق سياق الإفادة، عند "ابن المقفّع" في حرصه على أن يبلغ كتاب "كليلة ودمنة" الغاية الكبرى في إفادة المتلقي، لهذا نجد تحكيم هذا السياق مسبقا في مختلف الخطابات، عبارة عن استراتيجية مهمة، تضمن الاستفادة الكلية للمتلقي من أنواع الخطابات عبارة عن استراتيجية مهمة تضمن الاستفادة الكلية للمتلقي من أنواع الخطابات التي تلقى عليه، حيث يجبر هذا المبدأ المرسل على تنظيم خطابه في الحدود التي يستفيد منها المرسل إليه.³

يتضح لنا سياق الإفادة في خطابات "كليلة ودمنة"، على مستوى مختلف المواضيع، التي صاغها "ابن المقفّع" والتي وجهها إلى مختلف طبقات المخاطبين في الكتاب، فخاض في موضوع ضرورة تهذيب النفس، وذكر ما ينبغي على الإنسان أن يراعيه من الواجبات، في سلوكاته المختلفة في المجتمع الذي يعيش فيه. ويبين له الخصال التي تليق به حسب مكانته في المجتمع، ثم نظر في سيرة الملوك وإلى ما يجب عليهم أن يتحلّوا به من خصال وأخلاق، و ركّز على هذا الموضوع، حتى أن كتاب "كليلة ودمنة"، يعبر بصدق عن الحياة العامة في بلاط الملوك، وعن كل الدسائس والمكائد التي تجري فيها، فجاء مجموعة من الحكم الموجهة لهؤلاء الملوك، وعلاقتهم بحاشيتهم ووزرائهم و كل ما يحيط بهم من أشخاص.

1- قولفجانج هاينه مان/ ديتز، مدخل إلى علم لغة النص، تر: سعيد حسن بحيري، ط1، مكتبة زهراء الشرق، مصر 2004، ص 221.

2- ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق ص 218.

3- ابن المقفّع، كليلة ودمنة (باب الأسد والثور)، المصدر السابق، ص68.

إن الاستراتيجية الواضحة، التي اعتمد عليها "ابن المقفع" في كتاب "كلیلة ودمنة" من أجل إفادة المتلقي إفادة كبيرة، تكمن في الحوار الإطار الذي جمع بين شخصيتي الملك "دبشليم" والفيلسوف "بيدبا"، والحوار كما حددته لنا "أوركيوني"، يعتبر من بين الأنماط الأساسية، التي يتجلى من خلالها قانون الإفادة، بالإضافة إلى الحجاج والانتباه، وربط الخطاب بسياق المحادثة. ففي الحوار القائم بين الفيلسوف والملك، نلاحظ أن الفائدة الكبرى تكون للملك، باعتبار أن الفيلسوف هو الذي يتحدث كثيرا، ويقتصر كلام على السؤال فقط.

وما استراتيجية التضمن التي استعملها "ابن المقفع" على لسان الفيلسوف "بيدبا"، إلا دليل على سعيه لضمان الإفادة الكبرى للمتلقي، فكما أقر كل من "سبرر وويلسون" Sperber et Wilson فإن: >> باقي الأحكام تنطوي تحت مسلمة الإفادة، وهي الوحيدة التي كانت أكثر دقة وصحة من الأحكام الأخرى <<¹، بحيث أنه ما الغاية من توجيه خطاب ما إلى مرسل إليه بدون أن يكون لهذا فائدة معينة؟ فحتى وإن لم يكن هذا الخطاب، خطابا إجباريا بمعنى أنه يحمل معلومات جديدة للمرسل إليه، فإن له فائدة أخرى عوض الفائدة الإخبارية، ألا وهي فائدة إثراء معلومات ومعارف المخاطب.

وفي بعض الأحيان نجد الخبر غير مفيد إلا أنه يستمد قوة إفادته >> إنه موضوع لاستنباط قول مضمّر sous-entendu من طرف المتلفظ المشارك <<coénonciateur².

وعلى هذا الأساس، فإن حكايات "كلیلة ودمنة"، تستمد قوة إفادتها من مدى تأويلها وفهمها من طرف الملك "دبشليم" تأويلا وفهما صحيحا.

أما بالنسبة لعنصر الإخبار، فلا شك أنه يرتبط بعنصر الإفادة، إذ يعتبر من بين قوانين الخطاب الأكثر خصوصية، بحيث أنه يصنف ضمن أهم الدعائم التي تنبني عليها مختلف مقاصد وأغراض التخاطب، ويتمثل في رغبة المتحدث في تجسيد أفكاره واعتقاداته، وعرض معارفه على

1- ابن المقفع، كلیلة ودمنة (باب الأسد والثور)، المصدر السابق، ص68.

2 - Maingueneau. D, les termes clés de l'analyse du discours, P61.

المخاطب بطرق مختلفة، وعليه فإنه يسعى دائما على إعطاء عدد من المعلومات الشاملة واللازمة وهذا معناه أنه في حالة المحادثة أو التخاطب، بين مرسل ومتلق لا يجب أن تتم عملية التواصل بينهما على أساس الثرثرة، بل من >> المفترض أننا لا نتلفظ بشيء يعرفه المتلقي قبل الحديث <<¹، لهذا وجب على المخاطب أن يزوّده مخاطبه بمعارف من المفروض أنّه لم يسبق له معرفتها قول "ديكرو": >> على المخاطب تقديم المعلومات اللازمة والتي يمتلكها عن موضوع الخطاب وغرضها إفادة المخاطب <<².

ويذهب "الأمدي" في كتابه "الأحكام في أصول الأحكام" نفس المذهب فيقول: >> وأما ما يرجع إلى المستعین، فإن يكون المستمع متأهل العلم بما أُخبر به، غير عالم به قبل ذلك، وإلا كان فيه تحصيل حاصل <<³، وهذا معناه أنّ فائدة الخبر تكمن في وجود مستمع أو متلق مثالي مستعد لاستقبال الرسالة الإبلاغية، ويكون هذا المتلقي خالي الذهن من فحوى هذه الرسالة.

إن قانون الإخبارية، كما تذهب إلى ذلك "أوركيوني": >> ينطبق على كل أشكال الأفعال الكلامية، مثل التقرير، الاستفهام (شروط أن يكون الجواب واضحا)، الأمر والنصيحة (يكون فعل المأمورية فعل الأمر أو النصيحة متحققين مباشرة بعد التلفظ بهم) <<⁴.

يخضع تحقيق مبدأ الإخبار في كتاب "كليلة ودمنة" إلى قدرة "ابن المقفع" المعرفية، وقدرته الإقناعية في سرد أخبار حكايات الحيوان، بحيث يسعى من خلالها لا إلى وصف الواقع أو قول شيء عن حالة الكون، وإنما يسعى من خلالها إلى تغيير هذا الواقع، ويسقط "ابن المقفع" هذه القدرة الإخبارية على الفيلسوف "بيدبا" بحيث أنه الوحيد الذي يتوفر على هذه الملكة من ضربه للأمثال والحكم.

1 -C.K. Orecchioni, l'implicite, P207.

2 - Ducrot.O , dire et ne pas dire , 2^{ème} édition, Harman, Paris 1980, P204.

3- الأمدي، الأحكام في أصول الأحكام، المرجع السابق ، ص25.

4 - C.K. Orecchioni, l'implicite, P208.

فالحوار الذي جرى بين الفيلسوف كمنخبر والملك كمنخبر له، دليل على الإفادة الخيرية لحكايات "كليلة ودمنة" بحيث أنه عادة ما يسأل الملك "دبشليم" بصيغة "أخبرني" التي تدل على فراع ذهن الملك من الشيء الذي يريد معرفته من طرف الفيلسوف، إلا أنه في بعض الحالات يغير الصيغة بقوله: "قد فهمت، قد سمعت" وكل من الفعالان "فهم وسمع" يحمل في طياته مقصداً يختلف عن الآخر، وسوف يُفهمان من خلال السياق الذي صيغا فيه.

تعتبر تقنية سؤال جواب في الحوار الذي دار بين الملك "دبشليم" والفيلسوف "بيدبا" استراتيجية خاصة، اعتمدها "ابن المقفع" من أجل توليد عدد كبير من المعارف لزيادة الفائدة في الخبر لأجل المتلقي، لهذا جاء هذا الكم من الحكايات على شكل سيرورة دلالية، بحيث تقوم كل حكاية بتضمين عدد من الحكايات الأخرى في مجالها، وكل حكاية تحكي عن مثل في مجال معين لتكون بذلك كل الملفوظات التي وردت في "كليلة ودمنة" محملة بالمعاني، وليست فارغة من حيث المعلومات والمعارف.

المطلب الرابع: سياق الصدق Sincérité.

يتمظهر سياق الصدق في قصص "كليلة ودمنة"، في تعلقه بتصور "ابن المقفع" للواقع، بمعنى أنّ صدق أو كذب الحكايات الواردة في هذا المؤلف مرهون بتصور واعتقاد المؤلف، وهو وإن أوردتها حكايات على لسان الحيوان، فهو يقصد بها أشياء كثيرة بحيث أن هذه الحكايات مرهونة بالسياق الذي وردت فيه، كما أنها لا تُفهم كما تُقرأ، بل تُفهم بالتأويل وإعمال الرؤية في قراءتها.

لقد اقترح "طه عبد الرحمان" نموذجاً لقانون الصدق، استقاه من التراث الإسلامي العربي أسماه بـ"مبدأ التصديق" حيث صاغ له قاعدة عامة صيغتها >> لا تقل لغيرك قولاً لا يصدقه فعلك <<¹، كما فرّع أيضاً من هذا القانون نوعين من القواعد، قواعد التواصل وقواعد التعامل وقد استخرج هذه القواعد من كتاب "أدب الدنيا والدين" للماوردي.

1- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، المرجع السابق، ص 249.

فقاعدة التواصل تشتمل على قواعد مضبوطة تتلخص فيما يلي:¹

- ينبغي للكلام أن يكون لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر.
- ينبغي أن يأتي المتكلم به في موضعه ويتوخى به إصابة فرصته.
- ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته.
- يجب أن يتخير اللفظ الذي به يتكلم.

أما قواعد التعامل فتتلخص فيما يلي:

- قاعدة القصد: وصيغتها لتتفقد قصدك في كل قول تُلقي به إلى الغير.
- قاعدة الصدق: وصيغتها لتكن صادقاً فيما تنقله إلى غيرك.
- قاعدة الإخلاص: وصيغتها لتكن في توددك للغير متجرّداً عن أغراضك.

فالملاحظ على مبدأ التصديق، الذي صاغه وأورده "طه عبد الرحمان" أنه مبدأ شامل يُعنى بالمستوى التبليغي والمستوى التهذيبي، في العملية التواصلية، حيث تشترط قواعده الأساسية على المخاطب أن يكون عارفاً للمقاصد التي يريد إيصالها للمتلقي، وأن يكون مخلصاً فيها، وأن يكون صادقاً فيما ينقله إلى غيره حتى وإن كان هذا الصدق انطلاقة من اعتقاداته الخاصة، بغض النظر عن تحققها في الواقع، بمعنى أن تكون هذه الاعتقادات حقيقية أم كاذبة.

وانطلاقاً مما سبق فإن "ابن المقفّع" وإن استعمل عنصر المثل على لسان الحيوان فقصدته ليس تمويه المتلقي على فهم هذه الحكايات كما هي وتصديق ما قيل فيها، بل هي تقنية فضّل من خلالها التلميح عوض التصريح وهذا مراعاة للسياق المقامي الذي صيغت فيه هذه الحكايات، كما ذكر ذلك "سيرل" في قوله: >> أن المتكلم في القول التخيلي يدّعي الإخبار، وهو يقصد ادّعاء القيام بالإخبار، ولكنه لا يقصد مغالطة مخاطبه <<²، أضف إلى هذا مراعاة الأوضاع والفترة التاريخية

1- المرجع نفسه، ص ن.

2 - A. Reboul, J. Moechler, la pragmatique aujourd'hui, P33.

التي عاش فيهما "ابن المقفّع"، فما كان عليه أن يبلغ ما لا يعتقد وهو القائل في كتابه (الأدب الكبير) في الصدق وصحة الخبر: >> فإن استطعت ألا تحبر بشيء إلا وأنت به مصدق وألا يكون تصديقك إلا ببرهان فافعل، ولا تقل كما يقول السفهاء: أخبر بما سمعت <<¹.

كما أن "ابن المقفّع" وظف عنصر المثل التخيلي على لسان الحيوان، لهدف مزج أساليب الإقناع، بأساليب الإمتاع بحيث تكون باجتماعها >> أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب وتوجيه سلوكه لما يهبه هذا الإمتاع من قوة في استحضار الأشياء، ونفوذ في إظهارها للمخاطب كأنه يراها رأي العين <<².

وبهذا فإن الصدق الذي نتوخاه في قصص "كليلة ودمنة" مرهون بنية ومقصدية "ابن المقفّع" ويحدده لنا كذلك السياق المقامي العام الذي وردت فيه هذه القصص.

المطلب الخامس: سياق الشمول "Exhausivité".

يقصي الشمول على المخاطب، أن يعطي المعلومات الأكثر التي في حوزته من أجل أن يستفيد منها المخاطب، وهذا القانون عادة ما يأتي لتغطية قانون الإخبارية عندما تكون المساهمة ضعيفة من حيث المعلومات وعليه فإن الشمول يتلخص في أن يكون الخطاب الذي يتوجه به المخاطب للمخاطب يحتوي على قدر كبير من المعلومات، بحيث تقوم بتأطير الخطاب من كل الجهات، ليكون بذلك شاملاً وكاملاً.

وعلى هذا الأساس أقرّ "قرايس" على إفادة قانوني الخطاب:

أ- الإخبارية: إن أي ملفوظ لا يجب أن يكون فارغاً من حيث المعلومات.

ب- الشمولية: حيث أن هذا القانون، يقرّ على أن المخاطب يعطي حول الموضوع الذي

يتحدث عنه، المعلومات الأكثر التي يمتلكها.

1- عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن المقفّع - الجاحظ - عبد الحميد الكاتب، ص 173.

2- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المرجع السابق، ص 38.

يتلخص سياق الشمول في "كليلة ودمنة" في عدد الأبواب والأمثال والحكايات التي ساقها "ابن المقفع"، كل باب يختص في شرح وتبيين أمر، كباب "الأسد والثور" وباب "الفحص عن أمر دمنة" اللذين يحكيان على عنصر الصداقة وكيف يفسدها عنصر الخداع والمكر، والأبواب الأخرى التي تدور مواضيعها حول البلاط وما يجري فيه بين الملوك والأمراء والوزراء، وسائر رجال السلطة وبينهم وبين رعيته.

إلا أن تقنية السرد التي اعتمدها "ابن المقفع" على مستوى الأمثال وتقنية التضمين ذلك أنتجت لنا نوعاً من الخرق، وهو خرق قاعدة الكم، التي يشترط على المتكلم أن يكون مساهمته في عملية التخاطب تحتوي على قدر كبير من المعلومات المطلوبة، وهذا ليستفيد منها المستمع، وعلى المتكلم أن يراعي في هذا الحكم شرطين وهما:

- أن تكون إفادته للمخاطب على قدر حاجته.

- أن لا يجعل إفادته الخيرية تتعدى القدر المطلوب.

"فابن المقفع" إذن خرق الشرط الثاني، وهذا يجعله للفيلسوف يمحط في إجابته عن سؤال الملك وهذا ما يسمى بالإطناب الذي سوف يبينه لنا هذا المخطط المستنتج من "الباب الأول" من كتاب "كليلة ودمنة" ألا وهو "باب الأسد والثور" وهو كما يلي:

"باب الأسد والثور"

أ- الجزء الأول:

السؤال: الملك ← اضرب لي مثلاً لمتحابين يقطع بينهما الكذب المحتمل.

الجواب: الفيلسوف ← إذا أبتلي المتحابان ... وآفة المودة النميمة.

1- مثل التاجر وبنيه: (الفيلسوف)

ومن أمثال ذلك: أنه كان بأرض دستاوند رجل ...



2- مثل الرجل الهارب من الموت: (الفيلسوف)

كالذي قيل: أنّ رجلا...

↓
كليلة: واعلم أنه من تكلف من القول والفعل ما ليس من شكله، أصابه ما أصاب القرد من النجار
قال دمنة: وكيف كان ذلك.

3- مثل القرد والنجار: (كليلة)

زعموا أن قردا...

↓ حوار بين كليلة ودمنة
دمنة: وقد قيل...

كليلة: حار الله لك فيما عزمت عليه.

ب- الجزء الثاني: (دمنة يحرض الأسد على الثور)

السارد (الفيلسوف): ثم أن دمنة ترك الدخول...

↓
دمنة: ومن أمثال ذلك مثل السمكات الثلاث

قال الأسد: وكيف كان ذلك؟

1- مثل السمكات الثلاث:

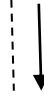
قال دمنة: زعموا أن غديرا...

↓
قال دمنة: ... ولا تأمن أن يصلك منه أو بسببه ما أصاب القملة من البرغوث.

قال الأسد: وكيف كان ذلك؟

2- مثل القملة والبرغوث:

قال دمنة: زعموا أن...



قال الأسد: سأكون منه على حذر، وإن رأيت منه ما يدل على ما ذكرت علمت أن ما في أمره شك.

ج- الجزء الثالث: (دمنة يحرض الثور على الأسد):

السارد (الفيلسوف بيدبا): فلما فرغ دمنة من تحريض الأسد على الثور...



قال شترية: ... كما أهلك الذئب والغراب وابن آوى والجمل حين اجتمعوا عليه بالمكر والخديعة والخيانة.

قال دمنة: وكيف كان ذلك؟

1- مثل الذئب والغراب وابن آوى والجمل:

قال الثور شترية: زعموا أن أسدا كان في أجمة...

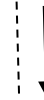


قال دمنة: ... فإن من حقر عدوه لضعفه، أصابه ما أصاب وكيل البحر من الطيطوي.

قال شترية: وكيف كان ذلك؟

2- مثل الموكل بالبحر مع الطيطوي (دمنة)

قال دمنة: زعموا أن طائرا...



قالت الأنثى: أن من لم يسمع قول الناصح يصيبه ما أصاب السلحفاة حيث لم تسمع قول البطتين.

قال الذكر: وكيف كان ذلك؟

3- مثل البطتين والسلحفاة:

قالت الأنتى: زعموا أن غديرًا....

مما سبق ذكره يمكن أن نستنتج بأن العملية التواصلية التي اعتمد عليها "ابن المقفع" تحكمت فيها قواعد وقوانين تستمد قوة فهمها وفك رموزها، مما للمتلقى المخاطب الذي توقعه "ابن المقفع" مسبقاً من قدرات على التحليل والاستنتاج والتأويل، بحيث يقوم بدور فك رموز الملفوظات وهذا ما اصطلح عليه في البحث التداولي بالقدرة التداولية *compétence pragmatique* الشيء الذي يفرض به بافتراض أفعال تفضية غير تلك المتوفرة سطحياً في الخطاب بل تفهم من خلال السياق الذي وردت فيه.

المطلب السادس: سياق المتضمنات في "كليلة ودمنة".

بتصفحنا لقصص "كليلة ودمنة"، وجدناها حكايات ليس الغاية منها لإفهام الآخر، أن حيواناً يتحدث إلى حيوان، ولا المقصود بها حمل هذا الآخر على تصديق ذلك، إنما وضع هذا الكتاب على لسان الحيوان، لأغراض أرادها "ابن المقفع" أن تكون تلميحية، عوض التصريح بها، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبّر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ، معتمداً بذلك على عناصر السياق¹، بحيث نجد وقف على الكثير من أمراض المجتمع والسياسة المنتشرة في عصره فاستنكر الكثير من الأمور خاصة تلك التي تجري في بلاط الحكام، حتى كان يرى بأن معظم تلك الأمراض ترجع إلى الملوك والسلاطين، فأراد أن يقف من هؤلاء الحكام موقف الفيلسوف (بيدبا) من ملكه (دبشليم) وعلى هذا الأساس نجد اختيار "ابن المقفع" للاستراتيجية التلميحية في هذه النصوص لأسباب سياقية مختلفة، منها أن يجعل خطابه في "كليلة ودمنة" بتلك الطريقة لكي تكون أكثر بلاغة وتبليغاً*، ومن جانب آخر نجد وكأنه يختبئ وراء هذه الاستراتيجية، من أجل اتقاء شرّ حكام و ملوك العصر العباسي، و يعدّ هذا من بين أهم مسوّغات هذه الاستراتيجية بحيث

1- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، المرجع السابق، ص 370.

* سيأتي الحديث عن هذا الجزء في العنصر الموالي.

يرغب المرسل في الكثير من الأحيان في التملّص والتهرّب من مسؤولية الخطاب كما يقرّ بذلك كل من "براون" و ليفنسون¹ ما يجعل الخطاب يحتمل أكثر من تأويل وبالتالي يتدخل السياق لكي يفتح المجال للمرسل إليه ليختار ما يريد من التأويلات طبعاً بمناسبتها للسياق.

إن للسياق الاجتماعي والسياسي الذي جاءت فيه قصص "كليلة ودمنة" دوراً هاماً في فهم المعاني التي وضعت من أجلها. بحيث عكست لنا الحياة العامة التي عاش فيها "ابن المقفّع" في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، لهذا لا يمكننا بأي حال من الأحوال الكشف عن المضمرات التي شَبَّعَ بها "ابن المقفّع" مؤلفه هذا، إلا بالوقوف على الخلفيات التاريخية والسياسية التي بإمكانها إزالة الغبار على الكثير من المعاني التي لم يصرّح بها المؤلّف بشكل مباشر، والتي بإمكاننا أن نجليها عن طريق الحوار الذي جرى بين الشخصيتين المحوريتين في قصص كليلة ودمنة: "دبشليم و بيدبا" بحيث تعتبر تقنية الحوار هنا كاستراتيجية خطابية، وظّفها "ابن المقفّع" لكي يكون له المجال مفتوحاً في كيفية التعبير عن مقاصده، وتحميله لخطابه كل أنواع الأقوال المضمرّة والافتراضات المسبقة التي على المتلقي المستهدف إعمال الفكر والرؤية من أجل الوصول إلى مغزاها ومعناها.

لقد وظّف "ابن المقفّع" تقنية الحوار والمثل في نفس الوقت، من أجل جعل خطابه أكثر ثراءً ولأنه رأى في هاتين التقنيتين الوسيلة الأفضل التي تتيح له فرصة بثّ كل أفكاره الفلسفية والسياسية والاجتماعية عن طريق التلميح.

يعتبر الحوار القائم بين الفيلسوف "بيدبا" و الملك "دبشليم"، تقنية ناجحة من أجل بثّ سيرورة الأفكار التي تشيّع بها "ابن المقفّع" كما تعتبر أيضاً تقنية "سؤال و جواب" الداخلة في ذات الحوار، تقنية أنجح لأنّها تتيح "لابن المقفّع" فرصة ترتيب أفكاره و تنظيم المعاني التي بصددها طرحها على متلقيه.

1- ينظر المرجع السابق، ص 372.

أما اعتماده على الأمثال التي يمكن تسميتها: >> بالأمثال الفرضية أو الرمزية وهي الأمثال التي لا يُعرف لها أصل تاريخي وتأتي غالبا على ألسنة الحيوان <<¹، فيسمح له باستعمال الأسلوب الرمزي والإيحائي في كيفية بث أفكاره التي صاغها على شكل افتراضات مسبقة وأقوال مضمرة، نظرا لما تحتويه على كم ثري من الحكم والمواعظ التربوية التي صاغها عن طريق الاستراتيجية التلميحية.

وانطلاقا مما سبق، نشير إلى أن "ابن المقفّع"، قد وضع مسبقا في ذهنه شروطا من أجل الوصول إلى الفهم الحقيقي والتأويل الصحيح، لمختلف متضمنات القول التي اعتمد عليها في قصص "كليلة ودمنة" كأن:

- يتوفر المتلقي على القدرة التي تؤهله لأن يتوصل إلى المعنى الحقيقي عن طريق التأويل.
- كما يشترط أيضا توفر العناصر السياقية والمرجعية الثقافية والسياسية والاجتماعية التي تساعد هذا المتلقي على فك الرموز والوصول إلى الأغراض الحقيقية لقصص "كليلة ودمنة"، فبالتالي الوصول إلى ما يحتويه الخطاب الذي يعتمد أساسا على تأويل المخاطب له تأويلا صحيحا، لهذا يكون استنتاجه مبنيا على عمليات معقدة ومتسلسلة بحيث يكون للاستنتاج بذلك "قضية ضمنية، بإمكاننا أن نستنبطها من القول ونستنتج محتواها الجانبي بتركيب معلومات ذوات أوضاع مختلفة (داخلية وخارجية)"².

و الأكيد في قصص "كليلة ودمنة"، أن غرضها ليس محاورة سبع لثور، ولا قرد لغليم بصفتها حيوانات، بل يتضمن كل باب من أبوابها مقصدا معينا، فليس المحاورة المؤطرة الجارية بين الفيلسوف و الملك فقط التي تتوقّر على أقوال مضمرة، بل حتى المحاورات المؤطرة الجارية بين الشخصوس الموجودة ضمن القصص المؤطرة، تتوفر على قدر كبير من هذه المضمرات، حتى أن "ابن المقفّع" ما فتى أن جعل كل هذه الشخصوس من الحيوانات تنطق بالحكمة والموعظة.

1- عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية، ط2، منشورات الاختلاف، الجزائر 2005، ص 131.

2 - C.K . Orecchioni, l'implicite, P24.

في "باب الأسد والثور" حاول الفيلسوف أن يبين للملك (دبشليم)، كيف يستطيع الكذب المحتال أن يفرّق بين الأصدقاء والخلائن، ويبين له أيضا كيف سيكون مصير مثل هذا الإنسان فيفتح بذلك قوله بسرد قصة افتتاحية، ففي (مثل التاجر وبنيه) تحكي عن الجو العام الذي ابتداء به المثل وتحكي عن الأوضاع الأولى للشخص التي سوف يضمّها في أمثاله، الذي هو بصدد الإخبار عنها لتكون بذلك بمثابة الأشياء التي سوف تساعد الحاكم على بلورة الأمثال التي سيسمعا في هذا الصدد، وتوجّهه إلى الطريقة المثلى في كيفية تأويله لها.

ثم يواصل "ابن المقفع" في سرده للأمثال في نفس الباب ومواصلة سرد الأحداث التي آلت إليها قصة "دمنة" الذي يفرّق بين الأسد والثور، ثم اكتشاف الأسد لخديعة "دمنة" ليقوم بمحاكمته وإعدامه في الأخير جزاء لما فعل، لتكون هذه القصة وكل الأمثال التي تندرج ضمنها، بمثابة عبرة يستخلص منها الملك "دبشليم" الحكمة في كيفية التعامل مع حاشيته وكيف يمكنه اتقاء شرّ بعض الذين يضمرون له في نفوسهم.

كذلك الأمر بالنسبة لباقي الأبواب، حيث يجعل الملك يسأل عن أشياء، والفيلسوف يقوم بسرد الأمثال، كل مثل يسوقه عن طريق قصة، وكل قصة تحوي معنى باطنيا خلافا للمعنى المصرّح بهفباب "الحمامة المطوّقة" تحكي عن موضوع الصداقة والأخوة وهو باب يبين لنا إدراك "ابن المقفع" لأهمية العلاقات الاجتماعية، ليجعل بذلك الحيوانات المذكورة في هذا الباب عبارة عن رموز تعبّر بحق عما يريد إيصاله إلى المتلقي، ويجعل كذلك "الحمامة المطوّقة" بحكم أنها سيدة الحمام تعبّر عن الحاكم السوي العادل، الذي يؤثر نفوس رعيته على نفسه في الأوقات الحرجة.

لقد اعتمد "ابن المقفع" أفنعة الحيوانات كدوال للتعبير عن مقصديته المضمرّة، التي على السياق شرحها وتبينها، فجاء كتاب "كليلة ودمنة" من أجل إصلاح الأوضاع الاجتماعية والسياسية الفاسدة المنتشرة في عصره، كما جاء من أجل إصلاح جهاز الحكم العباسي "أبي جعفر المنصور" هذا الذي كان يمتاز بظلمه وعدائه الشديد لأعمامه، كما كان يمتاز أيضا بحكمه الاستبدادي وحققه الشديد على "ابن المقفع" لتحيزه لأعمامه يقول "أحمد أمين": >> إنّ "ابن

المقّع" تكلم في هذا الكتاب على لسان "بيدبا" الفيلسوف، فجعل موقفه مع الخليفة المنصور موقف "بيدبا" من "دبشليم" ويقوم بنصيحة المنصور نصيحة غير مباشرة ويصر الرعية ليفرقوا بين الظلم و العدل... <<¹.

إن ما يمكن استنتاجه في الأخير، هو أن الأقوال المضمرة في "كليلة ودمنة" كلها تحتوي على الأخبار القابلة لأن تكون محمولة بواسطة الملفوظ إذ تقوم على قصدية "ابن المقّع"، وحدث متلقيه الذي يلجأ إلى التأويل والسياق مع لفك رموزها، إن لجوء "ابن المقّع" لاستخدام الاستراتيجية التلميحية ترجع على سياقات كثيرة تمنعه من التصريح بأغراضه، منها صيانة نفسه من الحكام العباسيين المقصودين في هذا الكتاب، الذي أراده قانونا عاما يتخذه هؤلاء الحكام كدستور ينظمون من خلاله أسس حكمهم، ومجالات تعاملهم، سواء مع رعيّتهم أو خاصاتهم في البلاط، لهذا اتخذ "ابن المقّع" (التلميح) كوسيلة لدرء أي سوء يمكن أن يطاله جرّاء ما تتضمنه قصص "كليلة ودمنة".

المبحث الثاني : بلاغة الإقناع والإمتاع.

المطلب الأول: بلاغة الإقناع.

إن الهدف من الخطاب في كتاب "كليلة ودمنة" معيار تأسست عليه استراتيجية الإقناع بحيث يسعى "ابن المقّع" من خلاله إلى "إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي"²، لدى متلقيه لهذا نجده استحكم آليات معينة لإحداث العملية الحجاجية باعتماده على عناصر السياق المختلفة.

لقد لخصت مسوغات استعمال الاستراتيجية الإقناعية في عدة نقاط أساسية أهمّها ذلك الشرط الأساسي في التداول اللغوي، ألا وهو شرط الإقناعية، بحيث يلزم المخاطب على جرّ متلقيه

1- عبد الله بن المقّع، كليلة ودمنة، تح وقدمه محمد أمين، فرشوخ، دار الفكر العربي، ط1، بيروت 1990، ص20.

2- هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص)، تر وتقديم وتعليق: محمد العمري، ط1، دراسات سال، الدار البيضاء 1989، ص64.

إلى الاقتناع برأيه، من دون أن يفرض عليه نوعاً من الإكراه للاقتناع وإذا حدث أن اقتنع المتلقي برأي الغير: >> كان كالقائل به في الحكم، وإذا لم يقتنع به، ردّه على قائله مطلقاً إياه على رأي غيره ومطالباً إياه مشاركته القول به. وقد تزودج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع، فتكون إذاً بذلك أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب وتوجيه سلوكه، لما يهبها هذا الإمتاع من قوة في استحضار الأشياء ونفوذ في إشهادها للمخاطب، كأنه يراها رأي العين <<¹.

المطلب الثاني : بلاغة الإمتاع.

إن السياق الذي وضعت فيه خطابات "كليلة ودمنة"، فرض على "ابن المقفع" أن يبني هذه الخطابات وفق منهجية تقويمية معينة، مفادها الظاهر هو الإمتاع ومفادها الباطن هو الإقناع حيث اعتمد على "المثل الخرافي"، لكي يكون وسيلة لإمتاع المتلقي من جهة ولكي يكون بمثابة الإقناع الذي يخفي وراءه المقاصد المحورية له من جهة أخرى ، هذه المقاصد التي بينها عبر الحجّة المثل التي طغت على الكتاب ككل، والتي تعتمد على الكفاءة التداولية في استظهارها وتبيينها لتصبح بذلك أفعالاً تأثيرية.

لقد أُلزم السياق الثقافي والاجتماعي والتاريخي، على "ابن المقفع" بأن يبني خطابه هذا وفق آليات حجاجية تنسجم وهذا السياق المشحون بتوترات سياسية على مستوى بلاطات حكام عصر "ابن المقفع" هذه التوترات التي طالت الراعي والرعية على حد سواء. لهذا فرضت على "ابن المقفع" اختيار حججه بشكل دقيق جداً، مراعيًا بذلك المتلقي المستهدف في خطابات "كليلة ودمنة" وهو الحاكم، ومراعيًا كذلك نفسه من أن يقع في شرك خطابه هذا، متبرئاً منه بشكل غير مباشر، وذلك بتوظيفه للاستراتيجية التلميحية التي تضمنت بدورها نمطاً استدلالياً متضمناً الحجج التلميحية التي اعتمدت أساساً على ما يسمى بالحجّة الدليل.

1- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المرجع السابق، ص38.

المبحث الثالث : نمط الاستدلال عند "ابن المقفع"

المطلب الأول : حجة الدليل (الشاهد).

ويعتبر الاستشهاد بما يسمى الحجج الجاهزة عند "أرسطو"، بمثابة دعائم الحجاج القوية¹ إذ يستعملها المرسل حسب ما يقتضيه عليه السياق، وقد ذكر "أرسطو" في كتابه "الخطابة" هذا النوع من الحجج تحت اسم "الحجج غير المصطنعة"، وهي عنده مجمل القوانين والاعترافات وأقوال الحكماء، وتختص إجمالاً بالخطابة القضائية.²

لقد اعتمد "ابن المقفع" على المثل كشاهد أساسي لتقوية حججه، بصفته حجة تقوم على المشابهة بين الحالتين في مقدمتها، و يراد استنتاج نهاية إحداهما بالنظر إلى نهاية ماثلتها، و هو عند "أرسطو" تاريخي (ميتولوجي) أو مبتدع كـ "المثل الخرافي".

إنّ "ابن المقفع" وضع متلقيه في إطار عام، يشرح الوضعية العامة و التمهيدية التي سوف يبني عليها حوارها، و ذلك بسرده أمثال مختلفة متداخلة فيما بينها تداخلا ضمنيا بارزا في قالب حجج مقنعة يريد إيصالها إلى متلقيه المستهدف، مستحكما بذلك المنهج الاستدلالي.

وظّف "ابن المقفع" الحكمة كأداة حجاجية يصدق معناها السياق بحيث أنّها "صينغ نظمية يقتضيهها سياق الكلام، في الأغراض والموضوعات المتنوعة، وترد في مستهلّها أو عقبها مقصودا بها التأثير والاستدلال والإقناع"³.

يفتح "ابن المقفع" جلّ أبواب "كليلة ودمنة" بكلمة "زعموا أنّ"، وهذا المصطلح يدل على أن السارد في صدد سرد حكاية، كما يعلن أيضا << أنّ السرد قد بدأ وتحدد نوعه >> .

إذن كلمة "زعموا أنّ" الافتتاحية تعتبر دعامة حجاجية سعى من خلالها "ابن المقفع" لجذب متلقيه بكل درجاته، وبهذا نلاحظ مدى تدخل السياق في كيفية اختيار السارد لآليات حجاجه

1- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، المرجع السابق، ص537.

2- ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري تطبيقي لدراسة الخطابة العربية "الخطابة في القرن الأول نموذجاً")، دط، دار الثقافة والتوزيع، المغرب 1986، ص24.

3- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، المرجع السابق، ص541.

وسرده، وهذا السياق هو المعلومات المتوفرة "لابن المقفع" حول متلقيه الذي وضع له صورة مسبقة في ذهنه.

المطلب الثاني: حجة المثل.

بعد هذا يبدأ الفيلسوف بسرد أمثاله المتضمنة في مختلف القصص المثلية التي حكاهما، لكي يصل إلى هدفه المنشود، ألا وهو "إقناع الملك"، ففي باب "السائح والصائغ" قال الملك: >> قد سمعت هذا المثل، فاضرب لي المثل الذي يضع المعروف في غير موضعه ويرجو الشكر عليه <<¹.
فيبدأ الفيلسوف برده بمقدمة مطولة من التوجيهات والكلام الحكيم >> أيها الملك ليس أضيع من جميل... وقد مضى في ذلك مثل ضربه بعض الحكماء، قال الملك: وكيف كان ذلك؟ <<².

ثم يبدأ الفيلسوف بضرب مثل: الحية والقرد والوبر، لينهي كلامه بخاتمة عبارة عن حكمة بقوله: >> ففي صنيع الصائغ وكفره له بعد استنفاذه إياه، وشكر البهائم له، وتخليص بعضها إياه عبرة لمن افتكر، وأدب في وضع المعروف والإحسان عند أهل الوفاء والكرم، قربوا أو بعدوا، لما في ذلك من صواب الرأي وجلب الخير وصرف المكروه <<³.

فلو تتبعنا هذا البناء، سنلاحظ أن "ابن المقفع" اعتمد على المثل كركيزة أساسية وهذا معرفته للقوة التأثيرية التي يحتويها. وهذا معناه أن المثل يحمل في طياته، فعلا لغويا إلزاميا تلميحيا، يتمحور في صيغة الأمر، حيث أنه يتضمن بصفة صريحة أو ضمنية دعوة إلى فعل أو إلى سلوك، "فابن المقفع" وإن اعتمد على المثل كركيزة حجائية في كتاب "كلىة ودمنة"، فإن السياق هو الذي فرض عليه ذلك، بأن تأتي حججه بهذا الشكل لكي تكون أكثر إفادة وأكثر إقناعية، منبعثة من مقصديته التي تعد هدفا أساسيا والتي يجملها في ثلاثة أغراض وهي:

1- عبد الفتاح كيليطو، الحكاية والتأويل (دراسات في السرد العربي)، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب 1988، ص 34.

2- ابن المقفع، كلىة ودمنة (باب السائح والصائغ)، المصدر السابق، ص 211.

3- المصدر نفسه، ص 214.

1 - الغرض التعليمي:

إذ أن كتاب "كليلة ودمنة" لا يخلو من هذا الغرض، من أوله إلى آخره، "فابن المقفع" في هذا الكتاب مارس نوعا من الطريقة التعليمية التي تعنى بكل المجالات سواء الأخلاقية منها أو التربوية والاجتماعية، فكان حينها رجلا معلما ومصالحا اجتماعيا، راسما هدفا كبيرا في هذا الكتاب: >> يشتمل على إرساء قواعد التهذيب الأخلاقي، في تأديب الذات، وفي السلوك العام توصلا إلى مجتمع عالم وعامل بما يعلم، يرأسه الأفضل والأعرف والأمثل في تطبيق العدل وإحقاق الحق <<¹.

يكاد يكون كتاب "كليلة ودمنة" منهجا تعليميا قائما بذاته، وذلك بتتبع "ابن المقفع" فيه سلسلة من الإشارات والتعليمات على شكل حجج قوية التأثير على المتلقي، إذ قال: >> فمن نظر في هذا، فليعلم أن من أراد منفعة نفسه بضر غيره بالخلافة والمكر فإنه سيجزى على خلافته ومكره <<².

2 - الغرض الحجاجي:

حيث اعتمد "ابن المقفع" في هذا الغرض، على الاستقراء أو الاستنباط في الوصول إلى ما يريده في كتاب "كليلة ودمنة" ويتمثل هذا في جعل موضوع هذا الخطاب ممكنا بالرجوع إلى العقل والغرض من ذلك هو جعل غير المحتمل محتملا.

3 - الغرض الأخلاقي:

ويتمثل هذا الغرض في محاولة "ابن المقفع" تعليم متلقيه مواضيع مختلفة في مجال الأخلاق حتى أننا نجد في ثنايا كتاب "كليلة ودمنة" انتشارا واضحا لعدة مواضيع في الأخلاق.

1- ابن المقفع، كليلة ودمنة، المصدر السابق، ص214.

2- المصدر نفسه، (باب الأسد والثور)، ص128.

يقول "ابن المقفّع": >> وينبغي للعاقل أن يكون لهواه متهما ولا يقبل من كل أحد حديثا ولا يتمادى في الخطأ إذا التبس عليه أمره، ولا يلج في شيء عنه، ولا يقدم عليه حتى يتبين له الصواب، فيه وتتوضح له الحقيقة <<¹.

جاءت "كليلة ودمنة" مجموعة من الحكم والأمثال التي كانت من ضمن المأثورات في الثقافة العربية، والتي كانت تأخذ دلالتها في السياق، والأمر الذي أعطى لها مصداقيتها وقوتها الحجاجية هو أنها قد صدرت من مرسل تتفق وإياه في الصفات، وهو الفيلسوف الذي لا يفتأ أن يتحدث إلا بالكلام الحكيم، يقول "حنا الفاخوري": >> الحكمة في كليلة ودمنة جوهر، وأما ما بقي فعرض والأشخاص في جملتهم حكماء ينطقون بالحكمة، كما يضربون أحيانا الأمثال، ويحاولون الإقناع بصحة الحكمة وضرورة الجري بموجبها، والحكمة في كليلة ودمنة ليست مقصورة على ما يستخلص من الأمثال ويُشار إليها في صدر تلك الأمثال وخاتمها ولكنها منشورة أيضا في كل مكان... بل هي عموما نتيجة الخبرة والعقل والتفكير <<².

وبهذا "فابن المقفّع" وظّف استراتيجية حجاجية قائمة على الأمثال والحكم، لكي تكون أكثر وقعا على المتلقي، لخص من خلالها أفكاره الفلسفية والإصلاحية والأخلاقية

1- ابن المقفّع، كليلة ودمنة (باب عرض الكتاب لابن المقفّع)، المصدر السابق، ص 63.

2- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص 463.

خاتمة

خاتمة

لقد أفضت بنا هذه الدراسة التي أردنا منها مسبقا الكشف عن أهم العناصر التي انبنى عليها خطاب "ابن المقفع" المتمثل في كتاب "كليلة ودمنة"، ومن ثم الكشف عن أهم المقاصد الفعلية للمؤلف والخطاب في نفس الوقت.

فانتهى بنا البحث في الفصل الأول، إلى معرفة مدى أهمية العتبات السياقية الأولى للنص، في معرفة السياق العام الذي جاءت فيه خطابات "كليلة ودمنة"، فدرسنا في هذا الفصل، العنوان باعتباره الدافع الأول لعملية القراءة والمفعّل الرئيسي لها، ثم تطرقنا إلى ما أسميناه أقطاب العملية التواصلية، والتي تتكون من مرسل (ابن المقفع) ومرسل إليه (متلقيه)، حيث لاحظنا وضع المخاطب لدرجات متلقين كل بإمكانه قراءة "كليلة ودمنة" من زاويته الخاصة، ويأتي في هذا الفصل كذلك دراسة للزمان والمكان، لتكون بذلك النتيجة الأساسية، هي وضع هذا الخطاب في إطاره السياقي العام.

كما أفضى بنا البحث، في الفصل الثاني، إلى رصد أهم الاستراتيجيات التي اعتمدها "ابن المقفع" في "كليلة ودمنة"، فتبين لنا أن الاستراتيجية التلميحية هي التي طغت في الخطاب بشكل كبير جدا، وهذا بحكم اعتماد المرسل على الحكايات الخرافية بالدرجة الأولى، وتوصلنا في هذا الفصل إلى أن للسياق دورا كبيرا في اعتماد "ابن المقفع" على هذه الاستراتيجية حيث كان للأوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية، التي كان يعيشها عصره، تأثير كبير على الأساليب التي اعتمدها عليها وكان الهدف الأساسي له، هو التهزّب والتملّص من حكام عصره، من تبعة ما جاء في هذا الكتاب وبذلك تبين لنا مدى مركزية السياق في منح الخطاب دلالاته للتعبير عن القصد.

بدون المرسل لا يكون هناك خطاب لأنه طرف الخطاب الأول، الذي يتجه به إلى الطرف الثاني ليكمل دائرة العملية التخاطبية بقصد إفهامه مقاصده أو التأثير فيه.

لذلك رأينا أنّ "ابن المقفع" اختار ما يتناسب مع منزلته ومنزلة المرسل إليه الذي وضعه في درجات مختلفة، بما يراعيه عند إعداد خطابه، وفق ما يقتضيه موقعه، إما الموقع الاجتماعي أو الموقع

الوظيفي أو غيرهما، كما يتوخى كذلك ما يتناسب مع السياق العام، حيث استحکم "ابن المقفّع" في "كليلة ودمنة" استراتيجية مهمة في عملية التواصل بين أقطابها ألا وهي الاستراتيجية التلميحية التي استدعتها الظروف التي جاءت فيها، وكما رأينا فإن العصر العباسي والذي هو عصر المؤلف اقتضى أن يقنع "ابن المقفّع" خطابه هذا، تهرباً وتملصاً من الحكام الجبابرة المنتشرين في تلك الفترة، خاصة منهم "السفّاح" و"أبا جعفر المنصور" هذا تجنباً لأن يطاله أي أذى لتبعة ما جاء في "كليلة ودمنة" من إرشادات وتوجيهات للحكام والسلاطين، مازجا أسلوبه في ذلك بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى.

إن السياق باعتباره الإطار العام، الذي يسهم في ترجيح أدوات بعينها، واختيار آليات مناسبة لعملية الإفهام والفهم بين طرفي الخطاب، وذلك بالاعتماد على عناصره الهامة المتمثلة في طرفي الخطاب (المرسل والمرسل إليه)، والزمان والمكان، فمعرفة عناصر السياق التي جاءت في "كليلة ودمنة" تسهم في عملية التعبير عن المقاصد والاستدلال لإدراكها، وعليه فإن اختيار "ابن المقفّع" للأدوات والآليات اللغوية التي استعملها، تعدّ انعكاساً للعناصر التي تشكّل في مجموعها سياقاً معيناً يبرز من خلال لغة الخطاب، وبمعرفة هذا السياق استطعنا الوصول إلى المعنى المقصود واستخراج أهم الأغراض الموجودة في هذا الخطاب.

يسعى خطاب "ابن المقفّع" إلى التعبير عن مقاصد معينة وتحقيق أهداف محددة، إذ يبرز في خطاب (كليلة ودمنة) مقاصد كثيرة، قد تظهر مباشرة من شكل الخطاب، وقد لا تظهر، وعندها تصبح لغة الخطاب شكلاً دالاً يقود إلى المدلولات المختفية خلفه، من خلال المعطيات السياقية والعلاقات التخاطبية، والافتراضات المسبقة التي يدركها المرسل أو يفترض وجودها فيبني لغة خطابه عليها، كما يدركها المرسل إليه، ليستدل على المقاصد من خلالها مستنداً بذلك و معتمداً على كفاءته التداولية التأويلية.

وبعد هذا فإن الغاية القصوى والهدف السامي الذي توصلنا إليه هو مدى مرونة نصوصنا التراثية في كيفية تحليلها، وقابليتها لاستحکام مختلف الآليات والإجراءات التي أنتجت مختلف

الدراسات الحديثة، منها التداولية كمنهج يملك آليات ناجعة في كيفية التعامل مع النصوص التراثية وفي كيفية تأويل الأقوال، وبلوغ المقاصد الفعلية للمؤلف والمؤلف وذلك بالاعتماد على السياق بمفهومه الكامل.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- باللغة العربية:

أ- المصادر:

- ابن المقفّع: كليلة ودمنة، حققه وقدمه: محمد أمين فرشوخ، ط1، دار الفكر العربي بيروت 1990.
- كليلة ودمنة، راجعها وعلق عليها: الأستاذ عرفان مطرجي، ط1، دار الفكر، بيروت 2005.
- الجاحظ أبي عثمان: البيان والتبيين، تقدم: علي أبو ملح، ط2، ج1، دار مكتبة الهلال، بيروت 1992.
- الزمخشري أبي القاسم محمود بن عمر: أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود دار المعرفة، بيروت 1979.
- الآمدي: سيف الدين أبي الحسن على بن أبي علي بن محمد: الأحكام في أصول الأحكام، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت 1983.

ب- المراجع:

- إبراهيم خليل: في النقد والنقد الألسني، منشورات أمانة، عمان الكبرى، عمان 2002.
- حميد لحمداني: القراءة وتوليد الدلالة (تغيير عاداتنا في قراءة النص العربي)، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب 2003.
- حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، ط10، المكتبة البوليسية، لبنان 1980.
- حمزة عبد اللطيف: ابن المقفّع، ط3، دار الثقافة العربية للطباعة، دب 1965.
- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبغير)، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب 2005.
- سلمان كاصد: عالم النص (دراسة بنيوية في الأساليب السردية)، دط، دار الكندي الأردن 2003.

- طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2000.
- اللسان والميزان والتكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1998.
- علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري (من البنية إلى القراءة)، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2000.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجية الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا 2004.
- عبد الجليل مرتاض: اللغة والتواصل (اقتربات لسانية)، للتواصلين الشفهي والكتابي دار هومة، الجزائر 2003.
- عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند ابن المقفع، الجاحظ، عبد الحميد الكاتب، ط1، دار اقرأ، بيروت 1985.
- عبد الله إبراهيم: التلقي والسياقات الثقافية، ط2، منشورات الاختلاف، الجزائر 2005.
- عبد الفتاح كيليطو: الحكاية والتأويل (دراسات في السرد العربي)، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب 1988.
- فان دايك: النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب 2000).
- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، د ب د ت.
- قولفجانج هاينه مان/ ديتير فغيهقجر: مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة: سعيد حسين بحيري، ط1، مكتبة زهراء الشرق، مصر 2004.
- محمد خطابي: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام النص)، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب 1991.

- محمد محمد يونس علي: وصف اللغة العربية دلاليا (في ضوء مفهوم الدلالة المركزي "دراسة حول المعنى وظلال المعنى")، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا 1993.
- محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري تطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطاب في القرن الأول نموذجاً)، دط، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب 1986.
- هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية (نموذج سيميائي لتحليل النص)، ترجمة وتقديم وتعليق محمد العمري، ط1، دراسات سال، الدار البيضاء، دت.

ج- المعاجم:

- ابن منظور: لسان العرب، ج3، دار الجيل، دراسات العرب، بيروت 1988.

2- باللغة الفرنسية:

1. **Anne reboul, J. Moechler** : la pragmatique aujourd'hui (nouvelle science de la communication) seuil, Paris 1998.
2. **Benveniste. E** : problèmes de linguistique générale T2 Gallimard, Paris 1974.
3. **C.K Orecchioni** : L'implicite, Armand Collin, Paris 1986.
4. Enonciation de la subjectivité dans la langage, Armand Collin, Paris 1980.
5. Dubois Jean : dictionnaire de linguistique, Librairie Larousse, 1973
6. **Ducrot.O-Todorov. T** : Dictionnaire encyclopédique des science du langage, Ed Seuil, 1972.

7. **Eco, U**: sémiotique et philosophie du langage, PUF Paris 1993.
8. **Grimas, J courtes, J** : sémiotique (dictionnaire raisonne de la théorie du langage, hachette université).
9. **Josette ray-debouve** : lexique sémiotique , 1^{er} édition presse universitaire de France (PUF), Paris 1979.
10. **Maingueneau, D** : les termes clés de l'analyse du discours, seuil, France 1996.

• المواقع الالكترونية:

1. www.awu-dam.org.
2. <http://membres.lycos.fr> .
3. <http://aslimnet.free.fr>

فهرس

المحتويات

الصفحة	العناوين
	شكر و عرفان.....
أ-هـ	مقدمة.....
07	مدخل.....
07	تقديم مدونة.....
14	سياق الخطاب.....
15	تعريف السياق من خلال المعاجم العربية والغربية.....
17	مفهوم السياق من المنظورين الغربي والعربي.....
الفصل الأول: عتبات السياق	
تمهيد	
26	المبحث الأول: عنوان "كليفة ودمنة" الدلالة والرمز.....
27	المطلب الأول: العنوان الرئيسي.....
29	المطلب الثاني : العناوين الفرعية.....
31	المطلب الثالث: وظيفة العنوان.....
32	المبحث الثاني: أقطاب العملية التواصلية
32	المطلب الأول: المخاطب.....
35	المطلب الثاني: المتلقي درجات التلقي عند ابن المقفع.....
37	المبحث الثالث: دراسة الزمان والمكان.....
37	المطلب الأول: دراسة الزمان.....
40	المطلب الثاني: دراسة المكان.....
الفصل الثاني: العملية التواصلية وإستراتيجية التحاور	
تمهيد	
46	المبحث الأول: سياق الاستراتيجية التلميحية.....
47	المطلب الأول: سياق المشاركة.....

فهرس المحتويات

48	المطلب الثاني: سياق السؤال والجواب.....
49	المطلب الثالث: سياق الإفادة والإخبارية.....
52	المطلب الرابع: سياق الصدق.....
54	المطلب الخامس سياق الشمول.....
58	المطلب السادس: سياق المتضمنات في "كليلة ودمنة "
62	المبحث الثاني: بلاغة الإقناع والإمتاع.....
62	المطلب الأول: بلاغة الإقناع.....
63	المطلب الثاني: بلاغة الإمتاع.....
63	المبحث الثالث: نمط الاستدلال عند "ابن المقفّع".....
63	المطلب الأول: حجة الدليل (الشاهد).....
65	المطلب الثاني: حجة المثل.....
69	خاتمة.....
73	قائمة المصادر والمراجع.....

فهرس المحتويات